

ان القارئ لتاريخ بلادنا الذي يبتدىء منذ العصور الاولى في تاريخ الانسان يلاحظ ان جمل المؤرخين قدموا لنا تاريخا مزيفا يخدم اغراض الفئة التي ينتمون اليها او الفلسفة التي آمنوا بها ، فالمؤرخون العرب بما فيهم المغاربة طبعوا يقدمون لنا تاريخ العائلة الحاكمة وحلفاءها الاقطاعيين ويتجاهلون طبقات الشعب الواسعة لان هؤلاء المؤرخين او على الاصح " العلماء " حسب التعبير القديم كانوا يتمتعون بامتيازات مستمدة من الحكم فكان لزاما عليهم ان يدافعوا بطبيعة الحال عن تلك المصالح وعن اولئك الحكام ايضا .

اما بالنسبة للمؤرخين الغربيين فقد ابدعوا في تزوير الحقائق وفي فرض مقاييس اقتصادية واجتماعية لا وجود لها ، كما حاولوا اخضاع تاريخنا الى نظريات باطلة زدت على ذلك المسطرة القديمة التي اتبعها علماءنا . فقد وضع رجال الدين الاوروبيين والمؤرخون البورجوازيون هذا التحريف والتزوير خطة في كتابة تاريخ الشعوب المستضعفة لتربية الاجيال على مفاهيم تخدم مصالح الفئات الحاكمة الاقطاعية او البورجوازية او كليهما معا . ولا يجد المرء الا القليل من المؤرخين الذين حاولوا تقديم تاريخ المغرب تقديم حقيقيا مجردا .

ولبلوغ الغاية المقصودة من هذه الدراسة يلزم تقسيمها الى ثلاثة اقسام :

- أ - تاريخ المغرب السياسي
- ب - تاريخ المغرب الاقتصادي
- ج - تاريخ المغرب الاجتماعي

وهنا يجب الاشارة الى ارتباط العناصر الثلاثة بعضها ببعض حيث لا يمكن الفصل بينها فصلا كلياً

أ - تاريخ المغرب السياسي

1 - المغرب في العصور البدائية :

عرفت القبائل البربرية التي استوطنت المغرب عددا من الحشروب ضد الفينيقيين والقرطاجيين والرومان . وقد ترك هؤلاء الخزاة اثرا اصلاحيا خاصة في طرق الحرث والسقي والبنس والتعمير والصناعة التقليدية الشبي الذي اثر بدوره في مظاهر الحياة القروية والحضرية وخاصة الاحتلال الروماني . ولكن بالرغم من ذلك لم يستطع احد منهم التمرکز وسط الشعب لان الفينيقيين والقرطاجيين لم يهتموا الا بالتبادل التجاري مع القبائل المجاورة لمراكزهم التي تنحصر في بعض المدن الساحلية ، اما الرومانيون فقد حاولوا استغلال الاراضي الساحلية وصاروا يزودون روما بالخيرات الطبيعية والماشية والعبيد . ويمكن تلخيص اسباب التناحر بين المغاربة والرومان فيما يلي :

- 1 - احتلال الرومان للاراضي وطرد اصحابها او الاحتفاظ بهم لخدمته تلك الاراضي (نظام الرق)
- ب - لم يأت الرومان للاستيطان بل للاستغلال فقط .

ولم يستفد المغاربة من ادارة روما ومؤسساتها وتنظيماتها فالمواطنون العاديون كانوا يتجنبون الرومان او يقاومونهم هروبا من الاستعباد . اما رؤوسا القبائل والملكون الكبار فكانوا غير مهيبين لاستقبال الحضارة الرومانية ، وذلك يرجع لانتزاع الرومان منهم اراضيهم حيث صاروا يكونون تهديدا مستمرا للقضاء عليهم . بالإضافة الى ان النظام العائلي للقبائل البربرية في شكله القديم ونظام العائلة الرومانية الذي كان في نفس التكوين لكنه متقدما عن الاول بمراحل كثيرة بحكم الحضارة والتشريع الديمقراطي اللذين عرفهما مجتمع روما كان يضع فوارق متعددة بين المجتمعين تحول دون اي تقارب بينهم ان الرومان كانوا يعتبرون انفسهم الشعب المتحضر والباقي الشعوب بربرية (بدائية) لا تستحق التقدير .

كما عرف المغرب بعد الرومان الغزو الفندالي الذي نشر في شمال البلاد النهب والتخريب والتعذيب وترك بعد مروره (لم يدم أكثر من بضعة أشهر) اقتصادا مخربا وأراضيه بدون مستغليين ومؤسسات محطمة .

وبعد قرون الغزو الفندالي بدأ الغزو العربي الاسلامي، ولما جاء العرب وجدوا بلادا مزدهرة في الفلاحة وتربية المواشي وذات تنظيمات قبايلية تشابه تنظيمات الدولة، لكن بدون ادارة وسلطة مركزية، اذ يختلف تعامل القبائل فيما بينهم اثناء السلم والحرب . وهذه التنظيمات هي التي مكنت الـ إيساديدو المعروفة بالكاهنة من تنظيم وتعبئة القبائل لمقاومة الجيوش العربية الاسلامية . وقد استطاع العرب ان يستوطنوا المغرب لاسباب كثيرة اهمها :

— انهم كانوا يكونون مجتمعا لا يختلف كثيرا في تركيبه عن المجتمع المغربي .
— انهم لم يفرضوا على الاهالي اشياء تغير من عاداتهم، بحيث احترموا العلاقات الاقتصادية والتجارية القائمة بينهم بل وتبنوا اغلبها واحترموا كل القوانين والعلاقات الاجتماعية التي لم تكن تتعارض مع مبادئ الاسلام .

— انهم اتوا عند دخولهم المغرب بعلاقات اجتماعية لم تضع مصالح الملاكين الكبار في خطر

وهكذا تمايز العنصران وصارا يندمجان تدريجيا .

II- تكوين الدولة المغربية :

اشق ادريس الاول سنة ٨٠٨ ميلادية ملتجأ الى المغرب فتبناه زعماء القبائل البربرية لانتخائه الى سلالة النبي، وخاصة لان له مؤهلات تجعله المرشح الاول لبناء الدولة المغربية المستقلة عن دولة الخلفاء فيسي الشرق والتي ستحتفظ برووسا القبائل كاعمدة للدولة الجديدة . ومن هذا التاريخ برزت شخصية الشعب المغربي ذي الديانة الواحدة والمصالح المشتركة . ولعله من مزايا قدوم ادريس الى المغرب انطلاقة الدولة التي احتفظت بطابعها الوطني خلال قرون طوال وجعلت المغرب يشق طريقه الى التطور مثل باقي شعوب البحر الابيض المتوسط .

اخذ المغرب تحت حكم الادارة القالب الاساسي لتنظيماته الفلاحية والصناعية والتجارية ونظام الدولة المركب من ادارة مركزية وادارة محلية تتمثل في شخصية رئيس القبيلة ونظام الامن والدفاع من الحدود الذي يسهر عليه جيش يتألف من المتطوعين المبعوثين من القبائل . ان دولة الادارة لم تغير شيئا من التقاليد والعادات القبلية بل ساعدت على تنظيم هذه القبائل ضمن اطار داخل الدولة الجديدة مع المحافظة على شخصيتها وتطوير وسائل انتاجها وعلاقاتها الاقتصادية . استمر المغرب على هذا الشكل خلال السنين التي مرت بعد حكم الادارة وتحت حكم رويسا عرب آخرين مثل الفاطميين والمرابطيين والموحدين والوطاسيين والسعديين ثم دولة العلويين، وكل دولة من هذه الدول جعلت محل الدولة السابقة نظرا لضعفها، الشيء الذي لم يكن المغاربة يقبلوا به وخاصة رويسا القبائل منهم واصحاب المصالح الكبري الذين عرفوا فيما بعد بالاقطاعيين. وهذه الظاهرة تكون عنصرا هاما في سيكولوجية الشعب المغربي طوال تاريخه حتى اليوم وهذه الظاهرة ناتجة اولاً عن الرغبة في الدفاع عن المصالح الخاصة وكيسان الدولة ثانياً عن اقيام بغزو مناطق مجاورة كما تفسر سياسة الدولة منذ تأسيسها حتى اليوم . وكانت سببا في التطور الصناعي والزراعي والتجاري والعمراني للبلاد . لقد كان احتلال اسبانيا وتحرير جنوبي فرنسا من سيطرة البربر قادة السلطة العربية المركزية في الشرق العربي، لكن بجيوش اغلبها من المغرب، الا ان احتلال اسبانيا من طرف المرابطيين والموحدين وكذلك احتلال الجزائر وتونس وتحطيم دولة غرب افريقيا (من طرف السعديين) كانت نتيجة السياسة العسكرية للدولة المغربية .

وكانت هذه السياسة العسكرية تتخذ الدين مبررا لها اما الدافع الاقتصادي فلم يكن في ذلك الحين اساسيا اذا ~~كان~~ استثنينا الغنائم التي يستولي عليها الجيش بعد انتصاره ، لان المغرب لم يكن لديه اقتصاد وصناعة تدفعه الى البحث عن موارد واسواق خارج حدود بلاده .

٣/ المغرب في القرون الوسطى

عرف المغرب منذ احتلاله لاسبانيا وغزوه افريقيا الغربية تطورا كبيرا في الصناعة والتجارة وال عمران وفي العلوم والفنون حيث نشأت اغلب المدن الهامة التي كانت تنافس العواصم المتحضرة في الشرق العربي والاندلس خلال هذه الفترة ما ي تحت حكم المرابطين والموحدين . كما تطورت الحرف والتجارة ^{في} الطرق بين المدن الرئيسية كفا س ومكناس وسلا ومراكش وتافيلالت وطنجة وبين المنطق المجاورة للمغرب في الجنوب والشرق وقوى الاسطول التجاري والعسكري في البحر الابيض المتوسط وتمكن التجار المغاربة من ربط صلة تجارية بين افريقيا واوروبا عبر اسبانيا ، وكانت لهذه النشاطات التجارية تأثيرات على تطور المصانع والفلاحة واصبح المغرب يحتل مكانة مرموقة بين دول البحر الابيض المتوسط واول من استفاد من هذا الازدهار هم ملاك الاراضي الشاسعة ، واصحاب السلطة الفعلية ، والقطاعيون الذين ساعدوا على بناء المدن كالمشجعوا الصناعة والتجارة لخدمة لمصالحهم كما سنرى .

تعرض هذا التطور الى عراقيل وصعوبات داخلية وخارجية

بعضها العناصر الداخلية اللازمة :

لعل من أسباب عرقلة هذا التطور في الداخل هو انتشار العائلات الشريفة ، التي أصبحت كل واحدة منها تتمتع بمناطق نفوذ كانت تستعمل أحيانا للسيطرة والاستيلاء على الحكم وكانت لها زعامات سياسية ودينية مما زاد في تعقيد الوضع وصعوبة القضاء عليه ، مما أدى الى ضعف السلطة المركزية في البلاد وانعدام الوحدة فيها ، فتحولت كل الاهتمامات من البناء الى الدسائس والمؤامرات ، فنتج عن ذلك محاربة بعض الدول الاوروبية للمغرب واقصائه من المصدان التجاري والملاح.

بعض العناصر الخارجية :

لقد صادفت هذه التطورات الداخلية فترة انبعاث أوروبا وتطور دول شمال البحر الابيض المتوسط ، فلم يتمكن المغرب من الاستفادة من ذلك التطور ومسايرته . وقد يرجع ذلك أيضا الى الحروب التي تعرض لها المغرب باستمرار للحروب الصليبية في الشرق والتي اتخذت طابعا سياسيا أكثر منه دينيا . والدول التي تزعمت تلك الحروب هي بالدرجة الاولى ايطاليا وفرنسا وهولندا وانجلترا ، وقد كانت هذه الدول تملك أسطولا عسكريا قويا مكنها من شن غارات مستمرة داميت عدة قرون ، ومن القضاء على المنافسة المغربية التجارية والعسكرية في حوض البحر الابيض المتوسط حيث احتلت بعض الموانئ وحاصرت الباقى منها ، الشيء الذي دفع بسكان المدن الساحلية الى بناء الاسوار الوقائية والى الاعتكاف على تنظيم طاقاتهم وأساليبهم الحربية ، ويكفى أن يذكر المرء عمليات القرصنة كمشال على ذلك ، ^{١٩٥٨} المهدى بن بركة الى هذه الفترة في ندوة اطارات حزب الاستقلال بتطوان سنة ١٩٥٨ حيث قال : " عندما بدأت الحروب الصليبية في بلادنا عقب انتهابها في الشرق العربي ، ودامت ٣٠٠ سنة ، جابه المغرب خلالها حروباً قاسية شنتها عليه دول ايطاليا وفرنسا وانجلترا وغيرها ، وكانت هذه الحروب سببا في انقطاع عن العالم وعن التطور ، و سببا في تحول الحرب من الجهد والجهاد لرفع منار الحضارة والعلم الى حرب ضد المستعمرين الدخلاء وجهاد لرفع راية الكرامة والصوة . وتحول قادة الفكر وأقطاب العلم الى قادة عسكريين لمغرب أصبحت

وكانت هذه السياسة العسكرية تتخذ الدين مبررا لها اما الدافع الاقتصادي فلم يكن في ذلك الحين اساسيا اذا ~~كان~~ استثنينا الغنائم التي يستولي عليها الجيش بعد انتصاره ، لان المغرب لم يكن لديه اقتصاد وصناعة تدفعه الى البحث عن موارد واسواق خارج حدود بلاده .

٣- المغرب في القرون الوسطى

عرف المغرب منذ احتلاله لاسبانيا وفزوه افريقيا الغربية تطورا كبيرا في الصناعة والتجارة وال عمران وفي العلوم والفنون حيث نشأت اغلب المدن الهامة التي كانت تنافس العواصم المتحضرة في الشرق العربي والاندلس خلال هذه الفترة ما ي تحت حكم المرابطين والموحدين . كما تطورت الحرف والتجارة ^{في} الطرق بين المدن الرئيسية كفا س ومكناس وسلا ومراكش وتافيلالت وطنجة وبين المنطق المجاورة للمغرب في الجنوب والشرق وقوى الاسطول التجاري والعسكري في البحر الابيض المتوسط وتمكن التجار المغاربة من ربط صلة تجارية بين افريقيا واوروپا عبر اسبانيا ، وكانت لهذه النشاطات التجارية تأثيرات على تطور المصانع والفلاحة واصبح المغرب يحتل مكانة مرموقة بين دول البحر الابيض المتوسط واول من استفاد من هذا الازدهار هم ملاكو الاراضي الشاسعة ، واصحاب السلطة الفعلية ، والقطاعيون الذين ساعدوا على بناء المدن ككلا وشجعوا الصناعة والتجارة لخدمة لمصالحهم كما سنرى .

تعرض هذا التطور الى عراقيل وصعوبات داخلية وخارجية

بعضها العناصر الداخلية اللازمة :

لعل من أسباب عرقلة هذا التطور في الداخل هو انتشار العائلات الشريفة ، التي أصبحت كل واحدة منها تتمتع بمناطق نفوذ كانت تستعمل أحيانا للسيطرة والاستيلاء على الحكم ، وكانت لها زعامات سياسية ودينية مما زاد في تعقيد الوضع وصعوبة القضاء عليه ، مما أدى الى ضعف السلطة المركزية في البلاد وانعدام الوحدة فيها ، فتحولت كل الاهتمامات من البناء الى الدسائس والمؤامرات ، فنتج عن ذلك محاربة بعض الدول الاوربية للمغرب واقصائه من الميدان التجاري والملاحق .

بعض العناصر الخارجية :

لقد صادفت هذه التطورات الداخلية فترة انبعاث أوروپا وتطور دول شمال البحر الابيض المتوسط ، فلم يتمكن المغرب من الاستفادة من ذلك التطور ومسايرته . وقد يرجع ذلك أيضا الى الحروب التي تعرض لها المغرب كاستمرار للحروب الصليبية في الشرق والتي اتخذت طابعا سياسيا أكثر منه دينيا . والدول التي تزعمت تلك الحروب هي بالدرجة الاولى اصبانيا والبرتغال وهولاندة وانجلترا ، وقد كانت هذه الدول تملك أسطولا عسكريا قويا مكنها من شن غارات مستمرة داميت عدة قرون ، ومن القضاء على المنافسة المغربية التجارية والعسكرية في حوض البحر الابيض المتوسط حيث احتلت بعض الموانئ وحاصرت الباقي منها ، الشيء الذي دفع بسكان المدن الساحلية الى بناء الاسوار الوقائية والى الاعتكاف على تنظيم طاقاتهم وأساليبهم الحربية ، ويكفي أن يذكر المرء عمليات القرصنة كمشال على ذلك ، ^{وقد أشار} المهدي بن بركة الى هذه الفترة في ندوة اطارات حزب الاستقلال بتطوان سنة ١٩٦٨ حيث قال : " عندما بدأت الحروب الصليبية في بلادنا عقب انتهابها في الشرق العرسي ، ودامت ~~سنة~~ ٣٠٠ سنة ، جابه المغرب خلالها حروباً قاسية شنتها عليه دول اصبانيا والبرتغال وانجلترا وغيرها ، وكانت هذه الحروب سببا في انقطاع عن العالم وعن التطور ، و سببا في تحول الحرب ضد الجهل والجهاد لفرح منار الحضارة والعلم الى حرب ضد المستعمرين الدخلاء وجهاد لرفع راية الكرامة والصوة . وتحول قادة الفكر وأقطاب العلم الى قادة عسكريين لمغرب أصبحت

رقته اذ ذاك عبارة عن معسكر كبير وأصبح أبنائه يقنون وقفة رجل واحد لرد حوش
الاجانب ولبنا الاسوار لجعل بلادهم حصنا منيعا على كل الدخلاء المهاجمين
وجاء أيضا في نفس الندوة : " وأثناء تلك الفترة الحربية الطويلة أضاع المغرب
فرصة الاستفادة من الانقلابات والتطورات التي كانت تقع على أبوابه بأوروبا ،
بسبب ذلك الستار الذي أحاط به نفسه دفاعا عن الاستقلال ، ووقع الجمود في
الفكر المغربي وتركب لذي المغاربة معقود الحذر والخوف ، ثم الرفض لكل ما هو
أوروبي الامر الذي جعلهم لا يفتتحون لأى مجال المثلثية الخريبة " .
ان مركب الحذر ورفض كل ما هو أجنبى يرجع فى الواقع الى التجارب
التي خاضها المغاربة منذ التاريخ القديم ضد الرومان والوندال ، وبقي ذلك
المركب على مر العصور يكون أحد الخصائص النفسية عند المغاربة .

أول احتلال أوروبى لموانئ المغرب :

احتل البرتغال أثناء الحروب الصليبية مدينتى أصيلة وطنجة فى ١٤٧١ م ،
وأسفى فى ١٥٠٨ م ، أزموور ١٥١٣ م ، ولم يستطع الوطاسيون مقاومة البرتغال
نظرا لعدة أسباب منها التدهور فى الوضع الداخلى . وقد ساعدت مهادنة
الوطاسيين للبرتغال على قيام الدولة السعدية سنة ١٥٥٤ م ، التي أراد لها
رجالها أن تتزعم حركة التحرير ضد الاجانب وأن تسترجع الموانئ المغربية من
سيطرتهم ، الا أنها لم تعمّر طويلا نظرا لعدم تمكنها من القضاء نفوذ الزعماء
السياسيين الدينيين وبالتالي استرجاع الاراضى المغربية ، فقامت على أنقاض
الدولة السعدية الدولة العلوية بزعامة مولاي رشيد عام ١٥٦٦ م .

١- دولة العلويين :

ورثت الدولة العلوية اثر قيامها متاعب السعديين ، فقد أصبح الاتصال
مع الجزائر - بعد أن وصل الاتراك الى الحدود الشرقية للمغرب - منعهدما ،
كما حاول زعماء الزوايا وبعض رؤساء القبائل الانفصال عن السلطة المركزية ،
فتحولت مناطق نفوذهم الى بلاد سيية زرد على ذلك الاثار السيئة التي تركتها
حملة المنصور الذهبي على الجنوب . وقد تعرض محمد خير فارس فى كتابه
" المسألة المغربية من ١٩٠٠ الى ١٩١٢ الى هذه الفترة اذ قال : فى عهد
بنى وطاس بعد دولة المرينيين صار قسم منهم يمارس استقلالاً فعلياً لم يستمر
فى دفع الضرائب لدرجة أن هذه القبائل فقدت هذه العادة . " .
نجح مولاي رشيد فى تهدئة الوضع فى الداخل جزئيا ثم استمر خلفه
مولاي اسماعيل ١٦٧٢ - ١٧٦٧ م فى نفس الخطى حيث استطاع اخضاع قبائل
السيية فاستتب له الامر معتمدا فى ذلك على الاكراه والظغط ، الامر الذي جعل
القبائل المغربية تنتهز اية فرصة وخاصة ضعف السلطة المركزية للقيام بثورات
ضد هذه السلطة . هذا وقد لعب الافارقة دورا فعالا خلال هذه الفترة حيث
اعتمد عليهم فى تكوين جيشه بالاضافة الى التحالف الذى عقده مع رؤساء القبائل
المواليه اليه . اتجه مولاي اسماعيل بعد ذلك لمحاربة البرتغال وتمكن هو
وخلفه محمد بن عبد الله ١٧٦٧ - ١٧٩٧ م من طردهم واسترجاع موانئ المحيط
الاطلسى ، كما عملا على تزويد قبائل الشمال بالاسلحة لمواجهة الاهيان .

استطاع المغرب أن يسترجع مكانته فى الخارج ، خاصة بعد معركة
وادي المخازن ، كما أن الاستقرار فى الداخل ساعد على التطور الصناعى وازدهار
الحركة التجارية . واذا حاول حكام المغرب فرض وجودهم العسكرى والتجارى
على الدول المجاورة ، فانهم لم يقوموا بآيات محاولات مماثلة اتجاه الشرق العربى

أ - تدهور العلويين و تخلف المغرب عن التطور

رفاعة

عرفت السلطة المركزية ضعفاً كبيراً بعد غلب محمد بن عبد الله ، فظهرت بوادر السببية من جديد حيث " خرجت بعض القبائل عن طاعة السلطان " ، ^{ولكن} بالرغم من ذلك لم تتقوى أية محاولة جديدة للسيطرة على الحكم ، نظراً للنزعات الداخلية التي تعرضت لها القبائل ، أغضب إلى ذلك استهلاك الطاقات البشرية بسبب الحروب المتوالية التي قامت بها أو شاركت فيها ، كما أن الحروب الشوسعية ^{التي} حمل لوائها المرابطون والموحدون لم تعد بالنفع على الشخص المغربي باستثناء بعض رؤساء القبائل الذين كانوا يطمحون لتوسيع نفوذهم . كانت هذه باختصار العوامل التي ساعدت الحكام العلويين على الاحتفاظ بالسلطة رغم ضعف شوكتهم ، ولا بد هنا من الإشارة إلى الانتكاسة التي عاشها المغرب خلال فترة حكم العلويين وإلى الخط العام الذي انتهجه الحكام على التوالي . فقد عاش المغرب أربعة قرون تحت حكم عرف خلالها الجمود الفكري والتأخر الاجتماعي والتقهر الاقتصادي بالرغم من الأحداث والتطورات التي كانت تجرى على أبوابه خاصة في الميدان الصناعي والعلمي ، والسبب في ذلك يرجع إلى الحكام أنفسهم الذين جعلوا من الحكم غاية لا وسيلة لتطور المجتمع المغربي باستثناء البعض منهم كمولاي اسماعيل ومولاي عبد الله ومولاي عبد الرحمان الذين ساعدوا على تهيين ظروف داخلية وخارجية لازدهار الحياة في البلاد . وإذا كان الحكام العلويون يتحملون النصيب الأكبر والمسؤولية العظمى في تقهقر المغرب ثقافياً واجتماعياً وصناعياً فلن هناك عوامل أخرى ساهمت ولو بشكل غير مباشر في الانتكاسة التي جلت بالمغرب . وبالرغم من محاولة بعض المؤرخين الأوروبيين استغلال هذه العوامل أو بحضها للحط من الدور الذي لعبته الدولة الامبريانية في تطور أو على الاصح في تأخر دول المغرب بالرغم من ذلك فانه يجب الإشارة إلى تلك العوامل التي يمكن اختصارها فيما يلي :

- ١ - الوضع الجغرافي الذي يجعل المغرب معزولاً عن باقي الدول الحضارية فالمحراً من الجنوب والمحيط من الغرب وامبرانيا المتأخرة من الشمال والاستعمار التركي من الشرق .
- ٢ - الارتباط الروحي والديني بالشرق العربي واعتبار أن الحضارة لا تأتي الا منه ، وكان أن ذاك يرنح تحت الاستعمار الإسباني الذي لم تكن حالته بأحسن من الحالة التي يعيش عليها المغرب .

ب - دور مختلف الطبقات في القرون الوسطى

٢

لغبر

في هذه الفترة الطويلة من تاريخ الشعب المغربي ^{تكون} أسباب التأخر ، التي أدت إلى الاستعمار والتي ما زالت آثارها السلبية ^{تكون} حجرة عثرة في انطلاق الشعب وفي بناء المجتمع المتقدم السليم . هذه هي ^{الطوائف} الوضعية الداخلية الناتجة عن ظروف داخلية وتطورات عالمية للدول الأوروبية البحر الأبيض المتوسط . هذه الوضعية ^{الطوائف} تستوجب ^{الطوائف} سياسة طويلة لفهم الاتجاه الذي اخذته الأحداث بعد حكم الحسن الأول وفرض الحماية على المغرب .

ان التركيب الاجتماعي بالمغرب لم يطرأ عليه تغيير منذ قرون ، وانما أخذت الفوارق لمختلف الطبقات تتبلور وتزداد وضوحاً مع مرور السنين ، حيث تطورت الهيئات المسيطرة على البادية كما تطورت الفئات المسيطرة على الصناعة والتجارة رغم أن هذا التطور كان يسير ببطء نظراً للعوامل التي رأيناها سابقاً .

رلم يتمكن المجتمع المغربي من الاستفادة من التطورات التي عمت أوروبا في بداية القرن السابع عشر ، واقتصرت على الامكانيات المحلية المحدودة ، لان الطبقة الاقطاعية ذات النفوذ والسلطة الكبار كانت تقف حاجزا بين التطور والتأخر ، كما كانت ولا زالت تلعب دور الحارس الذي يمنع ظهور أي طبقة (برجوازية) قوية قادرة على الاطاحة بها و تحويل مركز الثقل في الاقتصاد الوطني من البادية الى المدينة ، أي خلق صناعة تلعب الدور الاساسي ، عوضا عن الفلاحة ، كما حدث في أوروبا . ولعل ذلك يرجع الى اختلاف الطبقة الاقطاعية والبرجوازية المغربية في طبيعتها عن مثيلتها في أوروبا ، ففي هذه الأخيرة كان الاقطاعي يملك نظريا وفعليا خادمه الفلاح الذي كان يضطر الى دفع مبلغ معين مقابل تحرير نفسه من العبودية . ومع مرور الزمن استطاعت الطبقة المتحررة أن تؤسس المدن وتجعل منها مقرا لها ، ثم صارت على تكوين مشاريع صناعية وتجارية الكثر كانت اللبنة الاولى في نشوء الطبقة البرجوازية الأوروبية . فكان عليها بطبيعة الحال أن تستعد للدفاع عن مصالحها بل لتطويرها . وقد نجحت في اضعاف الاقطاعية ، وفي الاستيلاء على الاراضي والمراكز الحساسة في الدولة ، ولعل احسن مثال على ذلك هي الثورة الفرنسية ١٧٨٩ م .

أما في المغرب فلم يحصل تطور مشابه حيث استطاعت الاقطاعية الاحتفاظ بمراكزها القوية وبسيطرتها على السلطة والاراضيها ، ولم تجد أمامها أي منافس في ملكية هذه الاراضي قبل الاستعمار الأوروبي . وبقيت تتمتع بنفوذها القوي سواء في الدولة أو في التجارة . وقد دفعتها الحاجة الى بعض المنتوجات الكمالية الى تأسيس المدن التي أصبحت مركزا لصناعة تلك المنتوجات . وبواسطة السلطة المركزية وتكوينها لجيش الدولة تمكنت من السيطرة على طبقة الصناع والتجار ومراقبتهم مراقبة مشددة . وهكذا بقيت هذه الطبقة مهيمنة على الانتاج الفلاحي وبالتالى على السوق الوحيدة المفتوحة أمام صناعة المدن بسبب الانعدام سوق خارجية تساعد على تسويق البضائع المغربية . وبفضل تحكمها في مصير المدن تمكنت أن تحول بين الحضرين وبين توسيع مجالاتهم الاقتصادية في البادية مما أدى الى حدوث اصطدامات وتمردات عنيفة بين التجار والصناع من جهة وبين الاقطاعية من جهة أخرى ، كما حدث في سلا القرنين السابع عشر والثامن عشر . الا أن تلك التمردات لم تمكن من تغيير الوضع داخل البلاد ، لأنها ظلت معزولة وضعيفة . وبذلك لم تمكن من السيطرة على الارض وعلى أجهزة الدولة بل لم تكن تهدف الى تلك السيطرة ، لأنها لم تكن تملك القوة الكافية لمواجهة الاقطاع .

هذا من جهة ومن جهة أخرى فان الفلاح المغربي لم يكن هو وأرضه ملكا للاقطاع مثلما كان في أوروبا ، وانما كان يتمتع كائما بحريته الشخصية (قانونيا) ، بالرغم من استغلاله من طرف سيّد الارض ، وذلك فانه لم يكن مظلوما لشراء حريته والهجرة موطنه بل بحثا عن أماكن أخرى لمزاولة نشاطه . وهكذا ظل تحت تصرف الاقطاعية وفي خدمتها ، غير مهتم بمحاولة أو المشاركة في تغيير الوضع الاجتماعي المغربي .

وقد ورد في التركيب الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع المغربي وصف مختصر للوضع المغربي القديم :

"يتيسر الاقتصاد المغربي القديم بغلبة القطاع الفلاحي على بقية القطاعات الأخرى . لقد كان يستوعب ٩٠ ٪ من مجموع السكان ، الى جانب القطاع الفلاحي كان هناك قطاعان آخران هما : الصناعة التقليدية ، و قطاع التجارة . وكاشف الاشكال الفلاحية تنقسم الى ثلاثة (مسام)

أراضي الجيش ، وأراضي الجماعات ، والأرض الخصوصية .
وعند التحليل نجد أن هذه الاشكال الثلاثة كانت تخدم وتدعم مصالح
الحكم الاقطاعي الأوليغارشي و مصالح القواد ورجال السلطة في البادية ، لأن
أراضي الجماعات كانت لتلبي كنان أعضاء القبائل نظرياً يملكونها سرعان ما تتحول
عند التوزيع الى أراضي يستفيد منها رئيس القبيلة وأعان الحكم بالدرجة الاولى .
أما الفلاحون فانهم يتحولون الى "خماسة" و "خبازة" يشتغلون ويتعبون لفائدة
رئيس القبيلة ومثلي الاقطاع .

ج - الجيش في دولة المغرب :

كانت السلطة تعتمد في استمرارها وجودها على الطبقة الاقطاعية ،
لأنها تملك أكبر وسائل الانتاج (الأراضي) فحسب ، ولكن لأنها كانت أكبر
مغذ للجيش المغربي من حيث العناصر الحاربة . فمغذ عهد الكاهنة حتى
بداية الحماية كان أعظم الجيش يتكون من المتطوعين من أفراد القبائل التي
كانت تتحمل نفقاتهم قصد الدفاع عن وحدة التراب وحماية البلاد من الغزو
الاجنبي . ولا يهمل هنا التعرض الى خصائص هذا الجيش ولكن الشيء الذي
تجدر الإشارة اليه الآن هو الاستفادة التي كانت تجنيها الاقطاعية من وراء ذلك
فمشاركتها في الجيش تضمن لها المحافظة على كيائها واستمرارها أولاً ،
و تعطيتها وسيلة الضغط على رئيس الدولة ثانياً . وكانت هناك محاولة
للتخلص من ضغط القبائل بتكوين جيش من الافارقة ملازم للسلطان ، مهمته
المحافظة على استقرار الوضع في الداخل (كما حصل في أيام مولاي اسماعيل)
الا أن هذا الجيش لم يستعمل لنفس الغاية التي أسس من أجلها وإنما استعمل
في المناورات الداخلية في القصر .

د - الخرافات وتأثيرها :

يمكن القول الآن أن البرجوازية (التجار والصناع) لم تكن صاحبة نفوذ
قوى في البلاد ، وإنما الطبقة الاقطاعية هي التي تملك السلطة الفعلية . أما
بقاى طبقات الشعب من الفلاحين الصغار ومستخدمين في القطاع الفلاحي فقد
كانوا مستغلين من طرف رؤساء القبائل والاقطاعيين ، وكانوا يمثلون الطبقة
الفقيرة الكادحة . وللسيطرة على هذه الطبقة ، كانت تستعمل عدة وسائل
منها الخرافات والاساطير التي استغلت الدين لابعاد الشعب عن مفاهيم
العدالة الاسلامية وعن القيم النبيلة للوطنية ، جاء في ندوة الاخ المهدي
بتطوان (١٩٥٨) :

" هناك ظاهرة أخرى من ظواهر تأخر مجتمعا وهي عبادة الاصنام ، وهذه
العبادة ناتجة عن الافق الضيق الذي كان يحصر التفكير المغربي ، فقد بلغ
الاعجاب بأبطالنا في مقاومة الاسبان والبرتغال والانجليز درجة كبرى حتى
أصبح هؤلاء الاشخاص بعد وفاتهم - محيل عبادة وتقديس " .

ولم تكن هذه الظاهرة (ظاهرة السادات) خاصة بالشعب المغربي
فحسب وإنما كانت تعم العالم الاسلامي كله (استغلال الدين الاسلامي لصالح
الاقطاع) ، حيث ظهرت الزوايا و " السادات " والاشراف الوسطاء بين الله والناس ،
وأصحاب البركات الى غير ذلك . وهكذا استغلت الشعارات الدينية للسيطرة على
المواطنين ولتسخيرهم لاغراض الاقطاعية والرجعية .

ولم ينج العالم المسيحي من عواقب هذه الظاهرة التي تكن تخلف في
محتواها بل حتى في أساليبها عنها في العالم الاسلامي .

وننتج عن هذا التزوير والتغليب انحراف في العقيدة ومفاهيم الدين ، كما
تسبب ذلك في تكوين فلسفة الانسان في مواجهة الحياة . ومن أخطر روايتها
التعصب للعقائد المنحرفة الراسخة في الازمان ، والرجعية في التفكير ، والتعصب

للزواوية و تقدير الشرافا ، قال المهدى فى تفسير الفدوة :

" اتصف بالتمصب رجال الدين المثقيين ، وكان يطلق عليهم اسم العلماء ، ورفضوا الافكار والوسائل الجديدة " .

كما أن الخضوع لأصحاب السلطة والاستسلام لوضعية الظلم الاجتماعى من رواسب هذه العملية التى سخرت الدين لصالح الاقطاع .

وفى هذه الظروف الصعبة حاولت البرجوازية ، التى لم تكن لها تأثير فى ميزان القوى بالبلاد ولا نفوذ اقتصادى يذكر ، ولا سلطة سياسية ، حاولت رغم ذلك تحقيق انتصار على الاقطاع والرجعية واعطاء المغرب تنظيما دستوريا ، لكن هذه المحاولة فشلت بسبب ضعف البرجوازية وقوة الاقطاعية من جهة ، ولأنها لم تجد سوى الشباب لتبنيها ، لأن التدخل الاجنبى قطع عليها الطريق من جهة أخرى .

ر - عناصر الرجعية الفكرية :

ماذا كان دور الجامعة المغربية فى تاريخ بلادنا ؟
رأينا فيما سبق بعض خصائص " العلماء " خريجي وأساتذة هذه الجامعة ، الذين لا يمكن وصفهم بغير العقلية الرجعية ، لقد ساهموا فى المحافظة على التراث المغربى الاسلامى بطريقتهم الخاصة ، أى ساهموا فى بقاء الاوضاع القائمة ، فأبعدهم جمودهم ورجعيتهم عن خوض معركة الاصلاح وقيادتها وابعاد التحوير والتزييف عن الدين ، فكانوا بصفة أوبأخسى حلقا الاقطاع ضد أى تحرر فكرى أو اجتماعى ، لقد حاولوا المحافظة على استقلال البلاد بطرق عتيقة أدت فى النهاية الى نتيجة معكوسة . وكان لرؤساء الزوايا منهم الذين قاموا بدور سياسى أثرى بالخفى خلق العراقل التى جمدت التطور بالبلاد ولا يخطرك عن هذه المجموعة من أدوات الرجعية والاقطاع إلا القليل من العلماء ، الذين بقى الشعب مدين لهم ، أمثال أبوشعيب الدكالى ومولاي العيسى العلوى .

5/ - ظهور النظام الرأسمالى فى أوروبا :

فى الوقت الذى قطع المغرب صلاته مع الخارج نتيجة التطورات التاريخية التى رأينا بعضها ، عمت أوروبا تطورات أقلت الاوضاع فيها . فقد أدى تكوير الطبقة البرجوازية فى الميدان الاقتصادى والاجتماعى وبباقى الميادين ، الى تغييرات جذرية ، أهمها بناء صناعة عصرية تعتمد على الاكتشافات العلمية والتقنية ، كآلة البخار وآلة الطباعة والطاقة الكهربائية ومحركات ديزل ، وسخرت البرجوازية هذه الاكتشافات لبناء صناعة حديثة عم تطورها بسرعة أغلب المناطق المعدنية . وأدى هذا الانعكاس فى الاقتصاد الى خلق وتطوير المجتمع للرأسمالى ، ونمت الفوارق الطبقة وقويت تشكيلاتها بسرعة التطور الاقتصادى وبناء على التناقض الكامن فى المجتمع الرأسمالى ، فلم يلبث نظامه فى أوروبا أن تعرض فى النصف الثانى من القرن ١٩ الى أزمة التضخم فى رأس المال وفى تراكم الانتاج نظرا لقلّة الاسواق ونظرا لتنظيمات وتحركات الطبقة البروليتارية النامية التى حرمها النظام الرأسمالى من كل الحقوق باستثناء ما يحافظ على قوة عضلاتها وسلامة صحتها لتستمر فى الانتاج الاستغلالى . الشئ الذى كان يخذل على أرباب المعامل وملاكى وسائل الانتاج أرباحا خيالية أدت فى النهاية الى تضخم خطير فى رأس المال . كما أن القوة الشرائية لأكثر طبقة فى المجتمع الرأسمالى الأوروبى ، أى طبقة الفلاحين والعمال ، كانت ضئيلة .

١ - النظام الاستعماري :

تكمّن في عناصر هذه الازمة أهم الأسباب التي دفعت بالنظام الرأسمالي للجوء إلى النظام الاستعماري وتطويره ، وذلك للخروج من الازمة التي كانت تهدد أوروبا الرأسمالية بالاختناق ، خاصة بعد أن وضح كارل ماركس وأصدقاؤه في منشوراتهم حقوق واجبات الطبقة الكادحة^{العامة} بالتحليلات الفلسفية والاقتصادية وأخذت هذه المفاهيم تعم الطبقات الكادحة بأوروبا وتقوى وتوحد نضالها ، لذا لجأت أوروبا إلى تسخير جزء من الطاقات المتضخمة في السيطرة على بلدان القارات الأربع ، آسيا وأستراليا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، وبذلك وجدت حلا لكل مشاكلها الموقّعة :

١ - بتوظيف الفائض من رأس المال المتضخم في فتح و تجهيز المستعمرات واستغلالها .
٢ - أرضاء كل الرغبات :

أ - لأرباب رأس المال بالقيام بالمشاريع الضخمة التي تعود على أصحابها بالارباح الخيالية ،

ب - بتحسين حالة العامل الأوروبي الذي يستفيد من مردود المستعمرات استفادة رئيسية لكل المواطنين الأوروبيين ،

ج - بإبعاد خطر الحرب من أوروبا بتسخير العسكريين في الفتوحات وتحويل اهتمامهم إلى خارج أوروبا .

٢ - استغلال المواد الطبيعية والبشرية للدول المستعمرة بدون مقابل .

٤ - احتلال المناطق الاستراتيجية والممرات التجارية العالمية .

٥ - الحصول على أكبر رقعة ممكنة وأكبر عدد من الشعوب لئلا مناطق نفوذ ثقافي وتصدير حضارة الوطن الأم إليها ، لربطها ارتباطا نهائيا به .

ب - مطامح الاستعمار في المغرب :

و هكذا بدأ التسابق إلى المستعمرات وتوزيع العالم إلى مناطق نفوذ اقتصادية وسياسية ، أو مناطق خاضعة كلياً إلى إحدى الدول الأوروبية . والمغرب بحكم وضعه الداخلي والخارجي ، وبحكم موقعه الجغرافي قد كان إحدى البلدان التي استعمرت في آخر مرحلة التسابق إلى المستعمرات ، كما كون مشكلة لأوروبا هددتها يشبح الحرب مدة عشرين سنة ، إلى أن أدت مع بعض المشاكل الأخرى إلى الحرب العالمية الأولى بعد عامين من احتلاله .

ج - تسرب الاستعمار إلى المغرب :

بدأ تسرب الأجانب إلى المغرب بطريقة (كلاسيكية) استعملت في أغلب البلدان التي اغتصبها الاستعمار ، وذلك بواسطة رجال التجارة والصحة والبعثات الدينية ، وكون هؤلاء طليعة الباحثين الذين مهدوا الطريق إلى حكوماتهم بدراسة البلاد وتقديم تقارير عن واقع هذه البلاد ، وكانت هذه التقارير تقدم للجمهور ، وبعضها يبقى سرية . وتسابقت إنجلترا وفرنسا وألمانيا وإسبانيا في هذا الغزو الأولي الذي أعطيته صبغة شرعية وضمنوه باتفاقيات مع المخزن المغربي في عهد عبد الرحمان ١٨٥٩ - ١٨٧٣ م ، وقد أعطى امتيازات لهذه الدول فسي التجارة بالمغرب . وبدأ التسرب من موانئ طنجة والعرائش وسلا وتطوان والدار البيضاء والجديدة والصويرة ، ومن هذه المدن استطاع الأوروبيون أن يتسللوا تدريجياً إلى المدن الداخلية بمساعدة السماسرة المغاربة الذين تمتعوا بجنسية وحماية أوروبية نتيجة اتفاقية الامتياز التجاري ، وهذه العملية تكون أحد العوامل التي ساعدت على خلق الفوضى والحد من سلطة السلطان .

سيطر الأوروبيون على التجارة الخارجية والملاحة المغربية ، وهكذا لم تستفد البرجوازية المغربية من تطور التجارة الخارجية رغم انطلاقها من جديد ، كما أن خزانة الدولة تحصل على مورد كبير ، لأن الجمارك كانت مقيدة باتفاقية التجارة ومن نتائج هذه التجارة الأجنبية بالبلاد غزو السوق الداخلية ومنافسة الصناعة المحلية التي لم تكن في مستوى الصناعة العصرية الأوروبية ولم تستطع الصمود أمامها ، فحكم عليها بالجمود ، فجمدت بالتالي القطاعات الاقتصادية والاجتماعية المرتبطة بها .

171 - تهيبى القاعدة الاستعمارية لاحتلال البلاد :

عملت كل من إيطاليا والدول الأربع الأخرى على توسيع مصالحها في المغرب لاجتداد مبرر للسيطرة عليه ، وتقربت إيطاليا إلى السلطان وإدارة المخزن ، وكادت أن تحصل على حماية المغرب بخداعها مولاي الحسن ، لكن مساعيها قد خفقت . أما ألمانيا وبريطانيا فقد تمسكتا إلى تقوية تجارتها في المغرب . أما إسبانيا وفرنسا فزيادة على خلق الصالح الاقتصادي بالبلاد ، سيطرت إسبانيا على سبتة و سبتة و سبتة و سبتة على الجزائر و صحراء جنوب المغرب ، وأصبحت تطوق المغرب من جوانبه البرية ، واستعملت هذه الحدود المشتركة للتسلل إلى المغرب ولم يستطع الحكم رد التسلسل الأجنبي من الجزائر وخاصة بقيادة الضابط اليوطى لأن السلطة المركزية كانت لا تستطيع مواجهة التسرب ، ومما شجع التدخل الأجنبي وسهّل مهمته وأضعف امكانية الدولة في مواجهته التفكك والفوضى في أجهزة الإدارة والجيش والمالية .

أ - اتفاقية طنجة :

رغم أن مولاي عبد الرحمان (١٨٥٩ - ١٨٧٣) كان قد أسبر جيشا قويا ومنظما فإنه لم يستطع القضاء على ثورة قبائل السيبة ، بل إن رقعة هذه القبائل قد اتسعت ، مما أضعف سلطة السلطان وموارد المخزن المالية ، وتقاومت هذه القبائل التسلسل الأجنبي منعزلة عن بعضها ، الشيء الذي سهّل عملية التوسيع الأجنبي في تراب المغرب وأعطى حكومة فرنسا وإسبانيا العبر لفرض اتفاقيات على السلطان كلها عبارة عن تنازلات السلطة المخزنية عن حقوق وطنية لصالح الأجنبي . ففي اتفاقية طنجة تخلى السلطان عن عبد القادر قائد ثورة الجزائر ضد الاستعمار الفرنسي الذي كان قد قدم الولا لسلطان المغرب ، فأصبح السلطان بمقتضى هذا الولا مسؤولا قانونيا عن أمن عبد القادر واستقلال القبائل الجزائرية التابعة له . ورغم هذا فإن السلطان قد تخلى عنه في اتفاقية طنجة واعتبره خارجا عن القانون المغربي ، الشيء الذي منح حركية عبد القادر التحريرية من المساعدة العسكرية والموارد التي كان على المغرب أن يقدمها له ، فخان السلطان ثورة الجزائر وتخاذل أمام الفرنسيين ، ذلك لأنه لم يرجع إلى القبائل لمقاومة الاستعمار في الوقت الذي نرى فيه أن القبائل بدون استثناء كانت تنضم دائما إلى السلطة المركزية في حالة الخطر احتلال أجنبي ، ولقد فضّل السلطان الخضوع أمام شروط المستعمر الأجنبي ليتسنى له مقاومة قبائل السيبة والقضاء عليها .

ب - اتفاقية لآمغنية :

ولهذا السبب وقع السلطان اتفاقية لآمغنية سنة ١٨٤٥ م بشأن الحدود ، وكان الفرنسيون قد احتلوا جزءا كبيرا من المغرب الشرقي ضم هذا الاحتلال كل الأراضي الشرقية منها حتى مدينتي وجدة ، كما احتلوا مدينة الجديدة . ومن أجل تحرير مدينتي وجدة والجديدة وقع السلطان اتفاقية ذات شروط قاسية كانت

ان أهمية المغرب بالنسبة للدول الاستعمارية تتجلى في :

- ١- ان المغرب يكوّن جزءاً من مسألة البحر المتوسط الذي يشتم دول البحر، لكن السيطرة عليه تؤثر في ميزان القوى السياسية والعسكري في هذه المنطقة. ولهذا فهو مهم بالدرجة الاولى بالنسبة لفرنسا واسبانيا وانجلترا وايطاليا .
 - ٢- وهو جزء من الطرق العالمية والمنافذ البحرية ولهذا فهو مهم الدول التجارية والاستعمارية .
 - ٣- وهو جزء من المسألة الافريقية ذلك ان مصير المغرب في الواقع قد تقرر بصورة نهائية عندما اختتمت اتفاقية باقيا أجزاء القارة الافريقية ووصلت القوى الاستعمارية الى الحدود المغربية الشرقية والجنوبية وكانت لاساطيل الأوروبية تحوم حول شواطئه في الشمال والغرب .
- ويفسر هذا الاهتمام بالمغرب موقعه الجغرافي في المغرب شواطئ ذات قيمة استراتيجية واقتصادية كبيرة . فهو يشرف بشواطئه على أكبر طرق الملاحة بين الشرق والغرب وأوروبا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية. وهذه الطرق هي طرق تكون ميداناً حاسماً بالنسبة للتجارة الخارجية الأوروبية كما يكون المغرب ^{مركزاً} المناسب للسيطرة الاستعمارية بين أوروبا والقارة الافريقية . يقيم جبل طارق وموانئه على المحيط الأطلسي وأطرافه على الصحراء والمغرب بما كان عليه من ضعف وبموقعه الممتاز وبما كان له من سمعة في غنى أراضيه ووفرة ثرواته المعدنية في وقت بلغ فيه التنافس الاستعماري أشده كان لابد أن يصبح ميداناً هاماً من ميادين التنافس الاستعماري وما كان يشير شهوات الرأسمالية الأوروبية أنه لم يكن في المغرب طرقاً ولا موانئ صالحة مما كان يفتح أمام الرأسمال الأوروبي امكانيات واسعة للاستغلال في مشاريع انشاء الموانئ والطرق والسكك الحديدية والتلغراف وغيرها .
- ٨- تدهور الدولة العلوية :

تولى بـأ أحمد السلطة في سنة ١٨٦٤ بعد وفاة الحسن وقد استطاع أن يحافظ على ما حققه سلفه الحسن ^{مولى} الذي كان مساعده في المخزن ولم يكن ينقصه ارادة وقوة شخصيته . ^{مولى} توفي بأ أحمد في سنة ١٩٠٠ وتولى السلطة من بعده وهو في العاشرين من عمره . وبقي هذا السلطان تحت نفوذ الاجانب وخاصة منهم البريطانيين والفرنسيين الذين كانوا بمثابة مستشارين . وتأثر مولاى عبد العزيز بالحضارة الغربية فكان ينفق أموالاً طائلة ليعيش حياة أوروبية . وجلب من جملة ما جلبت أدوات كثيرة للهوا ^{مستند} سمعته وخزائنه الدولة في نفس الوقت وعزم على اصلاح أجهزة الدولة وتنظيمها على الشكل الأوروبي . فسار على نفس المنهج الذي اتبعه والده في هذا الإصلاح . ووجد في المهدي المنبهي خير عون له . وكان هذا الأخير يشغل منصب وزير الخارجية ويحاول تحقيق طموح البرجوازية في تنظيم الدولة على أسس عصرية تسمح لها بتوسيع سلطتها وثرواتها . لقد تم ابعاد العناصر الرجعية من الحكم سنة ١٩٠٢ واسناد جزء من السلطة الى أفراد المخزن الذين أصبحوا يكونون مؤسسة على شكل حكومات عصرية . وأدخل بعد ذلك كبيراً من الضباط الانجليز والفرنسيين في تدريب الجيش . وكان لهذه العملية الأخيرة خطأ مزدوج في تقدير الوضع آنذاك ذلك أن المطامح الاستعمارية في المغرب لم تعد خافية على أحد ، واسناد مهمة تدريب الجيش الى ضباط أجانج معناه تقديم فرصة هائلة لهؤلاء الضباط لتوسيع التسلل الاجنبي حتى داخل جهاز الدفاع واث القلق والحذر في نفوس روساء الزوايا وزعماء القبائل الذين يرون في هذا العمل خيانة للاستقلال . كما استمر عبد العزيز في استشارة العلماء والأعيان والقواد الكبار في شؤون الدولة كما كان يفعل مولاى الحسن . وأدخل إصلاحات في الادارة ثم خصص راتباً خاصاً للقواد وباقى ممثلي السلطة المركزية يقطع الطريق أمام استغلال السلطة للمصالح الشخصية . وفي آخر اصلاح نظام الضريبة الذي كان بمثابة عملية انتحار للإصلاحات وللسلطة . ^{مولى} عبد العزيز وحرية المغرب . ان اصلاح النظام الضريبي وتوحيد قطع الطريق على كل المستغلين وعارضة كل المستغلين من الوضع القديم وخاصة القواد وقبائل الجيش والاشراف والطوائف الدينية والعلماء . لذلك أن هذه الإصلاحات قيّدت ممثلي السلطة المركزية في جمع الضرائب وألغى النظام الجديد (التبرعات) امتيازات قبائل الجيش والاشراف والطوائف الدينية التي كانت معفاة من ذلك . وقوبلت هذه الإصلاحات بالرفض . وأعلن العلماء (أن الترتيب) مخالف لتعاليم القرآن ورفض المصابون بهذه الإصلاحات دفع الضرائب كباقي القبائل . فخرج من ذلك اضطرابات خطيرة أدت الى تمرد أغلبية القبائل على السلطة المركزية وتعميم حالة السلبية في البلاد .

هكذا بعض الأخطاء في السياسة الإصلاحية في النظام السلطاني :

- (١) لم يكن لهذا الإصلاح (حتى في فترة الانبعاث : مولاى الحسن) سياسة منظمة لتنمية موارد البلاد . إذ بقيت

(١) وضع خريطة للمغرب

(٢) إدارة تركب

(٣) لماذا هذا التقسيم

الدولة في المغرب أداة استهلاك أكثر منها أداة تنمية وانتاج .

٢- تغيير وثق الضرائب القديمة مما نتج عنه عجز ف الخزينة .

٣- تأخر تطبيق النظام الضريبي الجديد (١٩٠٢ / ١٩٠٤) وهذا أعطى فرصة لتسلح القبائل ومقاومة المخزن

٤- محاولة تطبيق اصلاح يتعارض مع مصالح الاقطاعيين والرجعيين في ~~الوقت الذي~~ كانت فيه خزينة الدولة ضعيفة وسلطتها أضعف .

١- لقد تسببت البرجوازية المغربية بقيادة المنبهي بناء على ضعف سلطتها ومكانتها في الاقتصاد البلاد في محاولة سابقة لأوانها ^{العدالة} لا تركز على مخطط يراعي كل الظروف والظواهر الداخلية والخارجية الإصلاح جهاز الدولة ومؤسساتها ^{والقانون} بقيادة البلاد تسببت في انتكاسة البلاد أدت عواقبها الى اجتلال المغرب وتجميد تطوره لمدة ٤٤ سنة بما عبد العزيز فلم يكن ^{مؤيلا} لحمل لواء هذا الإصلاح بحكم انتماجه الى دولة ^{طبيعية} بتحت حكمها وسلطتها ^{التي} النظام القطاعي والرجعي وأعطي ^{مؤقت} هذه المحاولات مفتاح التدخل الاجنبي اذ عارضتها والرجعيين لتثبيت سلطتهم ولو على حساب المخزن كما كومت هذه الاصلاحات مفتاح التدخل الاجنبي اذ عارضتها الدول الاستعمارية بشده وخاصة فرنسا التي استغلته ^{التي} النفوضى في البلاد ولما عزم المخزن على جبي الضرائب سنة ١٩٠٤ اندلعت الثورات وعمت بلاد السبيبة في المغرب فأطاحت بهيبة الحكم وكادت أن تطيح بعرشه .

٩- السبب بالمغرب:

قبل أن نتعرض للعواقب التي أدى إليها تعميم الثورة في البلاد يجب أن نتعرض باختصار الى مفهوم السبية الذي حوره جل المؤرخين الأوروبيين . قبيلة السبية هي القبيلة التي لا تخضع للسلطة المركزية (السلطة الدنيوية) ، ولا تدفع الضرائب للمخزن ، لكنها تعترف بالسلطة الدينية للسلطان وتحترمها (عندما اعتقلت قبائل السبية بالاطلس المتوسط مولاى سليمان أكرمه واعتنت به كرفيس ديني) كما كانت هذه القبائل تنضم للمخزن في محاربة الأجنبي ، وكانت هذه القبائل تنضم الى قبائل المخزن - أى القبائل الخاضعة لسلطة المخزن - كلما طرأ تقدم على البلاد في النواحي الاقتصادية والاجتماعية والإدارية والحسكية ، إذ كان هذا التقدم ينعكس عليها ، وتفضل الاستفادة منه كما حدث في عهد مولاى اسماعيل والحسن ، كما يؤدى كل ضعف في الدولة الى تقوية مركز هذه القبائل وتوسيع رقعتها ، والأمثلة في عهد العلويين كثيرة ، فلم تكن هذه القبائل تكون دائما خطرا على الحكم المركزي لأن رؤسائها الاقطاعيين وزعماء الزوايا لم تكن لهم دائما أهداف محاربة الحكم والإطاحة به ، بل للتخلص من سلطته كطائفة ولم يسبق لهم أن اتحدوا على نطاق واسع لمواجهة الحكم الاصلح ، كما تضمحل الدولة وتقوم حركة الاحلال (التحويض) . هذه هي قبائل السبية التي عرفها المغرب حتى عام ١٩٠٢ . أما تفسير هذه الظاهرة في المجتمع المغربي القديم فمردها الى التركيبة الهيكلية في القبيلة والى حياتها ، وكانت القبيلة تخضع لسلطة الاقطاعي إما قائدا أو رئيسا ، حسب القوانين الجارية بها العمل ، وكان هؤلاء الزعماء الاقطاعيون يلجأون الى الاستقلال عن السلطة المركزية والاستفادة من سلطتهم بانفراد ، كما أن حياة هذه القبائل تسمح لهم بالعصيان ، فمن حيث التشويح كان للقبيلة أعرافها وتقاليدها تجعلها متكافئة من حيث القانون واقتصادها كذلك كان يعتمد على الاكتفاء الذاتي (الانتاج قصد الاستهلاك) والطبيعة الوعرة لمناطقها وصحوية المواصلات وضعف السلطة المركزية ووصفه رجال القبائل الذين كانوا محاربين وفلاحين ، تسمح لها بالمقاومة ، كما ساهم في اللجوء الى السبية تأسيس الزوايا ودورها الديني والسياسي والاجتماعي الذي لعبته قرونا عديدة تؤسس همتها قبيل في عقيدة السادات التي رأيناها سابقا . ولعل في كثرة قبائل السبية إما ابعادا للظلم والاستغلال وأما لغرضه حسب أخلاق الزعيم الاقطاعي . وفي سنة ١٩٠٢ ظهر نوع جديد من قبائل السبية وذلك بظهور الولوجي المعروف بـ بوحمارة (١٩٠٢ / ١٩٠٩) و الريسولي (١٩٠٢ / ١٩٠٦) .

الزوجي بوحمارة :

[illegible]

...? Not known (+

كان الرسولي أحد كبار قطاع الطرق بشمال المغرب الغربي وقضى بضع سنوات في السجن استطاع أن يفر منه. ووجد في اسبانيا ما وجد في الروجي في فرنسا، فاستلم المال والسلاح الكافيين للقيام بثورته ضد السلطان مناديا بنفس الشعارات التي نادى بها الروجي. وقد تمكن الرسولي من ضم بعض قبائل الريف وجباله اليه. وزاول نشاطه الهدام طيلة ثلاث سنوات تمكن خلالها هو أيضا من محاصرة فاس ولم تتمكن الحملات العسكرية المخزنية من القضاء عليه فهادنه مولاي عبد العزيز وعينه عائدا في الشمال.

كما غدى الفرنسيون عمليات أخرى من هذا النوع، وزعموا - وتبعهم في هذا الزعم أغلب المؤرخين الأروبيين - بأن هذا (السيبة) ناتجة عن عوامل داخلية محضة. وهناك نوع آخر من (السيبة) حوره المؤرخون الأروبيون وقد اكتسب طابع مقاومة الاقطاع والرجعية والشعب للمحتل فكانت بثورة وطنية على الدخيل استمرت من ١٩١٢ - ١٩٣٦. يضاف الى ذلك دور الزوايا التي تكون حلقة مهمة من تاريخ (السيبة). لقد كانت الزوايا إما مؤيدة للمخزن أو معادية له، وساعدت على مقاومة الاحتلال الاجنبي. وفي أغلب الاحيان كان الهدف من مقاومتها للسلطة المركزية هو تسليم الحكم لأحد زعمائها.

هكذا نرى أن المستعمرين قد أطلقوا اسم السيبة على عدد من الظواهر المختلفة تزويرا للحقائق. يخلطون بين انقلاب رؤساء القبائل على السلطة المركزية وبين التمردات التي حركوها لاستغلالها في خدمة تسليحهم الى المغرب والسيطرة عليه، وبين المقاومة الشعبية للاستعمار. وقد نتج عن هذا الخلط بين موقف الضعف الذي أصاب المخزن وتمرد أغلب القبائل في باقي البلاد. فتمتلك هذه الصعوبات نفقات كبيرة على الموارد الضاربة قد انعدمت تقريبا، مما جعل عبد العزيز يلجأ الى سياسة القروض التي أدى المغرب ثمنها غالبا. في الوقت الذي لم يكن المغرب فيه مدينا لأية دولة حتى سنة ١٩٠٢.

١- وثيقة الجزيرة ونجاح فرنسا في السيطرة على المغرب

تسبقت الدول الأوروبية في تقديم القروض للمخزن المغربي واحتلت فرنسا المرتبة الاولى في دفع القروض نظرا لوضعها المالي المناسب في ذلك الوقت. وقيدت هذه الدول المغرب بضمانات سياسية. إذا لم يكن له ما يقدمه ضمانات اقتصادية، ودعوت الدول الاستعمارية على الاستفادة من هذه الضمانات السياسية فوطدت وجودها ونفذها حتى صارت تتقاسم السلطة مع الحكم، وتفرض عليه الحلول التي تريد من تعقيد الوضع وإضعاف السلطة المركزية. فقام المخزن بنشاط كبير، وأوفد البعثات الى أوروبا، ودعى الى عقد مؤتمر دولي بطنجة لاحتياط المؤتمر الاستعمارية. وأنعقد المؤتمر في الجزيرة ١٩٠٤. لا بد من طنجة لأن فرنسا كانت تخشى الرأي العام الأوروبي في طنجة الذي كان معاديا لها. وجاءت الدول الأوروبية الى المؤتمر مشكلة كمشكلة اتجاه القضية المغربية، بعد أن عقدت اتفاقية ثنائية فيما بينها كاتفاقية فرنسا وبريطانية القاضي بتنازل الاولى عن مصر والثانية عن المغرب. قال محمد فارس في كتابه «المسألة المغربية» : «بالرغم من أن الدول قد دعيت لبحث أمور تتعلق بمصالح دولية في المغرب فان المؤتمر كان في حقيقته يبحث الخلاف الألماني - الفرنسي. وقد مثلت الدول الأخرى عدا فرنسا وألمانيا وحلفائهما دور المحلفين في هذه المحكمة الدولية، أكثر مما مثلت دور القضاة. أما المغرب فقد كان الضحية» - لقد تحولت عملية المؤتمر الدولي الذي دعا المغرب الي عقد من محاولة تدويل المصالح الغربية في المغرب الى حصرها في ثلاث دول هي فرنسا واسبانيا وألمانيا، ذلك أن الكواليس والفاوضات التي رافقت المؤتمر قررت نتيجة مسبقه. ويرجع نجاح هذه المؤتمرات أيضا الى أن الوفد المغربي لهذا المؤتمر لم يكن في مستوى مهمته. وقد عجز عن فرض مصالح البلاد واستقلالها ووجهة نظره. جاء على لسان رئيسه المقري : «إننا هنا بالجزيرة جالسون كتماثيل لانستطيع أن نقول شيئا ولا أن نفهم شيئا مما يقال». إذ لم يكن الوفد المغربي مزودا بترجمين أكفاء. وكانت المواضع التي نوقشت بين الدول المتنازعة على المغرب (فرنسا - اسبانيا - ألمانيا) هي : مسألة البنك والبوليس (الجيش). وقد حُل النزاع حول هاتين النقطتين وتم تحديد مستقبل المغرب السياسي. وجاء في ميثاق الجزيرة ما يلي :

١- تصريح يتعلق بتنظيم البوليس (الجيش) من طرف فرنسا واسبانيا من الماد (١) الى (١٢) ب) نظام يتعلق بمراقبة الاسلحة ومنع تهريبها مؤلف من المواد ١٣ حتى ٢٠ ج) ميثاق يتعلق بإنشاء بنك للدولة من المواد ٢١ حتى ٥٨.

د - تنظيم الضرائب وإيجاد موارد جديدة من المواد

هـ - نظام الجمارك ومنع تهريب البضائع من المواد

و - تصريح خاص بالاشغال العامة والمصالح العامة من المواد

ز - ترتيبات عامة تتعلق بتطبيق الميثاق من المائدة ١٢٠ - ١٢٣

ان نظرة سريعة على هذه القائمة تبين ان الميثاق يشكل تدخلا سافرا في الشؤون الداخلية للمغرب وقد بالغ هذا التدخل في احتقار الشعور الوطني للمغاربة واستغلال مصالحهم لفائدة الرأسمال الاستعماري . وقد جاء في كتاب (المسألة المغربية) «لقد اعتبرت جميع الدول باستثناء المغرب أن المؤتمر قد انتهى الى نتائج مرضية» وقال بن سليمان وزير خارجية المخزن : «لقد كان المخزن قبل المؤتمر مريضا جدا اما بعده فقد انتهى المخزن» .

١١ - المقاومة الوطنية للاحتلال الاستعماري

ان وجود بوحمارة في الشمال الشرقي والريسولي في الشمال الغربي وعصوم القوضى لباقي المناطق ، وعدم مواجهة أوروبا المتحدة في المؤتمر بمغرب موحد ، كل هذا دفع عبد العزيز الى الرضوخ وتوقيع الميثاق ولم يلجأ الى الشعب لمقاومة التدخل الاجنبي خوفا على عرش العلويين . وعوض أن تقدم وثيقة الجزيرة الفرصة لعبد العزيز لفرض سلطته على الخارجيين عن طاعته ، زادت من اضمحلال السلطة المركزية ومن تعميم القوضى التي ترتبها قواد أقويا ، مثل الكلاوى والمتوكي في الجنوب . كما أخذ الشعب يقاوم الاحتلال الاجنبي بوسائله الخاصة : حوادث طنجة ١٩٠٢ ، مراكش ١٩٠٦ ، والدار البيضاء ١٩٠٧ ، وأدت حوادث مراكش والدار البيضاء ، واحتلت الشاوية ودكالة حتى الفرنسيين والألمان وأتلفت بعض المؤسسات إلى انزال قوات فرنسية بالدار البيضاء ، واحتلت الشاوية ودكالة حتى مدينة أزموور على وادي أم الربيع وكذلك المغرب الشرقي حتى وجدة ، كما احتلت اسبانيا جزءا مهما من الشمال الغربي من البلاد حتى لا تسبقها فرنسا في الاحتلال ، ولم يكن لاسبانيا أي مبرر لزيادة على أن الخسائر الناتجة عن الحوادث لم تكن لتبرر هذا الاحتلال . لكن فرنسا الاستعمارية كانت تترصد الفرص واغتصمت أولها لتضع يدها على المغرب . ولم يكن ذلك ممكنا لو لم يوقع عبد العزيز ميثاق الجزيرة بموقبل هذا السلطان مرة أخرى الشروط التي أملاها عليه الاستعمار ففى شأن هذا الاحتلال ولم يحصل من جانبه الا على وعود بالجلال ، مودع من جديد بالمغرب دفعة أخرى في أحضان الاستعمار ، ذلك لأنه كان يريد قبل كل شيء القضاء على أخيه مولاى عبد الحفيظ الذى بايعه القواد في ١٦ غشت ١٩٠٧ بمراكش لذلك قدم عبد العزيز تنازلات أخرى لفرنسا جعل بها المخزن تحت سيطرتها الفعلية نهائيا . لقد بويج عبد الحفيظ لقيادة الكفاح ضد المستعمر بعد أن اعتبر عبد العزيز حليف الاستعماريين وأداتهم ووصل عبد العزيز الرباط قاراً من فاس التي انقلب عليه ، كما سارع الجيش الاستعماري الفرنسي في زحفه من الدار البيضاء الى فاس . وفي ٣ يناير خلع مجلس العلماء وممثلي الاعيان بمسجد مولاى ادريس بفاس مولاى عبد العزيز وأعلنوا البيعة لمولاى حفيظ . وكانت وثيقة البيعة مقيدة بشروط ، الشيء الذي حدث لأول مرة في تاريخ المغرب رغم أن مولاى الحسن كان يتشاور مع الاشراف والعلماء في شؤون الدولة ، لأنه لم يكن مقيدا بوثيقة شرط من هيئة معينة من الشعب ، وتعتبر هذه الوثيقة بداية التاريخ الدستوري الفعلي للمغرب ، فقد ألحقت الوثيقة على اعتبار الشعب مصدراً للسلطات لا ينبغي اليه في شؤونه الداخلية والخارجية الا بالرجوع اليه . ورفضت هذه الوثيقة ميثاق الجزيرة ووضعت برنامج للخروج بالمغرب من حالة التخلل وانتقل حفيظ من مراكش الى فاس وقيل هذه الوثيقة . ومار بذلك السلطان الوحيد . تنازل أخيه عبد العزيز - غشت ١٩٠٨ - بعد أن هزمه في معركة ~~بجدة~~ بالشاوية . نجح عبد الحفيظ في القضاء على ثورة الروحي (بوحمرة) ، لكنه لم يستطع ضم كل القبائل اليه كما لم يفلح في القضاء على القبائل النائرة ، ذلك أنه وضع الكلاوي رئيسا للمخزن وكان هذا القائد فاسيا في معاقبة القبائل فأدى تصرفه على هذا النحو الى تعميم الثورة على السلطان الجديد ومحاصرة فاس ١٩١٥ - ١٩١١ . وكان من أسباب هذه الثورات :

١ - سيطرة البعثة العسكرية الفرنسية على الجيش المغربي .

ب - سياسة عبد الحفيظ المالية (القروض) .

ج - سياسة الكلاوي التحسفية .

كما أن الظروف الخارجية لم تكن لصالح المغرب ، إذ كانت أوروبا على وشك حرب عالمية ، تقدم المغرب سنة ١٩١١ ككبش الفداء لتلافي هذه الحرب . وفي هذه الظروف ظهر منافس لعبد الحفيظ في مكانة هو أحد أبناء خاله الذي بايعه الناس كسلطان واحتلت الجيوش الفرنسية زعيراً وأغلب المدن الساحلية كما أن عبد الحفيظ لم يكن بعد قد حصل على اعتراف الدول الغربية به كسلطان للمغرب .

- ومن أجل هذا الاعتراف أعطى لفرنسا تنازلات خان بها التزاماته أمام من بايعوه سلطانا ومن هذه التنازلات
- ١- قبول عبد الحفيظ ميثاق الجزيرة وكل وسائل التنقيط التي وضعها وأقرها السلك الدبلوماسي، وكذلك الحقوق المخولة لفرنسا وإسبانيا لمراقبة تهريب الأسلحة من طريق البحر.
 - ٢- قبول كل معاهدات والتزامات المخزن السابقة أيضا الدول الأجنبية.
 - ٣- تحمل ديون المخزن السابق.
 - ٤- التخلي عن الجهاد وتوجيه رسائل بهذا المعنى إلى العدى والقبائل.
 - ٥- التعهد باتخاذ كل التدابير اللازمة لتأمين سلامة وحرية المواصلات حول العواني، وعلى الطرق الرئيسية نحو الداخل.

إن هذه الالتزامات تتعارض كلية مع تلك التي قدمها السلطان إلى الذين حملوه إلى العرش لذلك كان الوفاء بها غير ممكن وهي التي ضيقت العرش للعبد الحفيظ وافقدت المغرب استقلاله.

الفرع الثاني: الحماية على الشعب المغربي
تطورت شروط الاستعماريين إلى أن أدت إلى عقد الحماية في مارس ١٩١٢، إذ لم يكن بإمكان السلطان مواجهة الوضع ولجأ إلى أسهل الحلول كإسلافه عوض اللجوء إلى الشعب وبما قد التزم به أمام المواطنين ووافق على حماية واستعمار البلاد. وتنازل حفيظ على العرش لأخيه سلطان الاستعمار يوسف في غشت ١٩١٢، وغادر المغرب إلى أوروبا. بما في المسألة المغربية من حطيم عبد الحفيظ الشارات السلطانية قبل مغادرته الرباط لأنه عد نفسه آخر سلطان مستقل.

الثورات ضد الاحتلال

بعقد الحماية أصبح احتلال الاستعمار الفرنسي صاحب وضع قانونية بالبلاد، وخلال له الجواب الخارج وأطلق العنان للتصرف بالمغرب حسب أهوائه وشهواته، وضعت المغرب ثورات عديدة لمقاومة الاستعمار، وترأس الأقطام زعماء القبائل وزعماء الدين وروساء الطوائف الدينية مقاومة الشعب للاحتلال الأجنبي ومن هذه الثورات من دامت عشرات السنين وكثيرة وهبة ما العينية بالجنوب، والسملالي موسى وحمو في منطقة تافلاث واكتسبت بعضها عطا دوليا وتأييدا مطلقا من الشعب كثورته الأمير محمد عبد الكريم الخطابي التي استطاعت تهديد الكيان الاستعماري بالمغرب وحقت العديد من الانتصارات.

ثورة الشمال بالريف

تستحق ثورة الريف دراسة خاصة لما لها من تأثير على الوضع الداخلي بالمغرب وبالعالم ولما استعملت من ابتداء وابتكار في الحرب الشعبية وفي التحرير الوطني.^①
لما تم عقد الحماية كان على رأس أكبر قبيلة ريفية تسمى بشي ورياقيل رئيس متبصر ومقتنع بتقاليد قبيلته في التحرير والاستقلال، فبعث هذا الشيخ الرئيس عبد الكريم الخطابي ولديه إلى الجامعات للدراسة والتثقيف فأرسل ابنه الأكبر محمد عبد الكريم إلى القرويين لدراسة علم الشريعة الإسلامية وأرسل ابنه الأصغر محمد إلى دراسة علم الجيولوجية واستغلال المعادن، فرفض هذا القائد حكم الأجانب على البلاد، ورفض الخضوع للحماية فصبح بذلك خارجا عن طاعة السلطان وحماية الفرنسيين والإسبانيين. وتحمل الإسبانيون إخضاع الخطابي وقبيلته لتقديم إلى السلطان أي الاعتراف بحكم الاستعمار ببلادهم فزحفت جيوش الإسبان في يوليو ١٩٢١ على قبائل الريف واحتلوا الطريق المؤدي من مليلية إلى الحسيمة وهي أهم الطرق الرئيسية للقبائل فصار القائد الشيخ الذي تنظم الدفاع ضد الاحتلال، وتوفي أثناء المسيرة للزحف الأول ضد الاستعمار فتولى ابنه محمد عبد الكريم قيادة الجيش والقبيلة واتصف محمد عبد الكريم بأخلاق أبيه السامية، كما اتصف بكفاءات القائد السياسي والعسكري، فاستطاع أن يقود رجال ثورة الريف الأبطال إلى انتصارات كبيرة هزت أركان الدولة الاستعمارية الأسبانية رغم قلة الوسائل والموارد وخاصة السلاح.

استطاع جيش محمد عبد الكريم أن يحطم تحطيا كليا جيش الإسبان الغاني لمناطق الريف، وسار الثوار يقومون بعمليات تحريرية خارج مناطقهم فأصبح يحدد الوجود الإسباني في مناطق قبائل جبال الريف وفي منطقة كرسيف وشمال جبال الأطلس المتوسط، كما كانت انتصارات الريفين سببا في أزمة عنيفة بإسبانيا جعلت هذه الأخيرة ترضخ لمطالب الريف الذي كان يحاربها على رأس قبائل جبال القوكان يحقق انتصارات عسكرية لا تقل أهمية عن انتصارات رجال محمد عبد الكريم وقبلت إسبانيا الشروط القاسية التي فرضها الريف.

① الإسبانية للمجاهدين في هذا الجبل.

وأدت جزية مرتفعة على الجنود المحتقلين كما أدت تشويضا كبيرا على الاضرار التي خلقتها الحرب . كما اعترفت اسبانيا بسلطنة الريسولي في مناطقه أدت اسبانيا ثمنا غاليا للحدثة من ^{الريسولي} وقبلت بالاهانة أمام الرأي العام الأوروبي في سبيل توحيد قواها لمواجهة ثورة محمد عبد الكريم . ذلك أن اسبانيا أدركت الخطر الحقيقي الذي ^{تهدد} هذه الثورة التي تختلف كل الاختلاف عن ثورة جبال بقيادة الريسولي . فتوراة الريسولي لم تكن سوى ثورة اقطاعي انتهاني تبني الشعارات الوطنية للحصول على زعامة القبائل ، وهو يقاوم الاستعمار للتخلص من سلطته . وتختلف ثورة الريف عن ثورة جبال كل الاختلاف فتأدها يمتا ز بكفات رجل الدولة وقائد جيش ذو خبرة عسكرية واسعة ، واختياره غير متذبذب فهو لا يقبل أنصاف الحلول ، ولا يبحث عن الاستفادة الشخصية ^{ولا} على حساب رجاله . أراد طرد الاستعمار وتحرير قبائله ورغم أنه يتسبب الى وسط اقطاعي فقد كان يهدف الى تغيير المجتمع وتطويره نحو التقدم واستعمل الطرق العصرية في التنظيم والتسيير ، فوزع السلطات على أنا س مقتدرين واعتمدت ثورته على تضحية الرجال وابتكارهم ، بل حتى النساء والاطفال شاركوا في الثورة التي قامت بإرادة الشعب ودامت بثنيحياته ، فتجاوب الشعب مع قاداته وأتوا بتجربة أدهشت العالم ، وما زالت تثير اعجابه نظرا للتنظيم المحكم ، وتعبى الامكانيا المحدودة وتسخرها تسخييرا ذكيا وتقسيمها تقسيما عقلانيا يمكن من سد العجز واستغلال الموارد والعتاد استغلالا كبيرا ، فساعدت هذه الطرق الذكية في التنظيم والعمل علما لدراك التفوق الذي أحرزه المستعمر بفضل السلاح العصري وجيوشه القوية بالعتاد والعدد ، والخبرة والامكانيات المادية ، استعملت غنائم المعركة استجمالا محكما لصالح الثورة واصبحت تكون أكبر مصادر يتزود منها المقاتلون بالعتاد والسلاح والدواء والالات الكاتبة والتلفون وغيرها . وحتى المال الضروري لتسيير الثورة كان يدفعه الاسبان لعبد الكريم مقابل تحرير جنودهم الاسرى ، فجهز ومول الثوار ^{الريسولي} من العدو ونظم الجيش على طريقة جعلت الانتاج الفلاحي والصناعي لا يتوقف ، اذ اقتصر عبد الكريم على عشرة الاف جندي دائمين و ٦٠ ألف من المتطوعين ينضمون الى الجيش في وقت العمليات فأعطوا مثالا رائعا للشعوب في التنظيم الثوري ، وحطموا جيوش اسبانيا المتزايدة العدد (٢٤ ألف - ٢٢ ألف - ١٥٠ ألف) .

وقوت حركة محمد عبد الكريم في الداخل مما أدى الى انضمام كل القبائل الريف وجبال الى حركته ، فاعتزل الريسولي الذي أخذ يقاوم محمد عبد الكريم سنة ١٩٢٥ ومات في نفس السنة بأجدير عاصمة الجمهورية الريفية وأخفقت اسبانيا في محاربة الثوار وشرعت في مفاوضات رسمية مع محمد عبد الكريم للتخلي عن حماية الشمال مقابل الاحتفاظ ببعض العواني المغربية فيه . ولما قوي مركز جمهورية الريف ووصلت أنباء انتصاراتها الى أبعد أطراف العالم ، أصبح ^{بشكل} خطرا على النظام الاستعماري في الرقعة العربية على الخصوص ، فخشيت فرنسا من أن تعم الثورة شعب شمال افريقيا ، اذ ان عددا من القبائل الجزائرية اخذت تتعامل مع محمد عبد الكريم ، وبدأ ثوار الريف يحشون قبائل الاطلس المتوسط على الانقلاب ضد المستعمر والسلطان لتحرير البلاد . وهجمت الجيوش الاستعمارية الفرنسية بقوة عظيمة تزيد على ٥٠ ألف ، وبقيادة أشهر قادتها العسكريين مثل الجنرال بيتان ، واستولت هذه الجيوش على بعض المواقع بعد حرب دامت عدة شهور سنة ١٩٢٥ ، ولكنها لم تستطع أن تتقدم في جبال الريف محقلا الثوار . وقد كلفت فرنسا هذه العملية الكثير من ^{الاعباء} الخسائر من الرجال والمال ، الشيء الذي هز الرأي العام الفرنسي ، وزاد من سمعة الثورة الريفية ، ولم يدخر الحزب الشيوعي الفرنسي جهدا في خدمة جمهورية الريف فأيد الثورة وساندها بالدعاية لها في فرنسا وأوروبا ، واصدر بياناً عن لجنته المركزية يطالب فيها بالاعتراف بحكومة محمد عبد الكريم ، كما شرع في تكوين جبهه عالمية ^{للتحرير} بجانب الثوار . وتحركت القوات الديموقراطية في مختلف المؤسسات الوطنية والاقليمية لصالح جمهورية الريف ، وخرجت النساء الفرنسيات في مظاهرات ضخمة ، رددن فيها شعارات معادية لسياسة الحكومة ، ومويدة لثوار الريف مثل : (أخذتم رجالنا في الحرب العالمية وتريدون اخذ ابنائنا في حرب استعمارية) ، ورددن كذلك طلب السلم والاعتراف بالاعتقال للرجال الاحرار ، ولم يخضع الاستعماريون الفرنسيون لضغط الرأي العام بفرنسا وأوروبا ، ولم يكن يباليون بضياح الرجال والعتاد في حرب مفتوحة ، بل الذي كان يهمهم هو تصفية الثورة ، ليخلو لهم الجو في شمال افريقيا . وكعملت فرنسا على توحيد القوى الاستعمارية في محاربة الريف الناصر ، فحاصرت سفن حربية انجليزية وفرنسية واسبانية شواطئ الشمال لمنع وصول السلاح والذخيرة الى الريف ، وحصلت فرنسا على موافقة اسبانيا لتوحيد مجهوداتها لمحاربة الثورة وجهزها جيشا قويا بالعتاد والعدد وطوقا الثوار . وكانت عملية تصفية الثورة سهلة اذ ان جمهورية الريف بعد تقديم تضحيات كبيرة للقضاء على جيوش الاسبانين ، سنة من الحرب العنيفة ضد الجيوش الاستعمارية الفرنسية كانت طاقات الثورة قد انهكت ، فالانتاج الزراعي ضئيل جدا ، فمعد سنوات والرجال في تعبئة دائمة وعمليا متلاحقة . ولم تحصل الثورة على قوات فتيمة للنزول بها الى المعركة ، فقبائل الاطلس لم تنظم اليها . زد على ذلك ان الاستعمار قد دفع بقوت ضخمة الى الميدان ففي الوقت الذي كان ^{يقاوم} محمد عبد الكريم قد عبأ ٢٥ ألف

ريفي و ١٦ ألف جبلي للهجوم على قوات الاستعمار في يناير ١٩٢٦.

بلغ عدد الجيش الاستعماري الفرنسي حسب وزير خارجيتها ١٥٧ ألف وجيش اسبانيا ١١٨ ألف أي ٢٧٥ ألف ضد ٣٥ ألف أو ٦٠ حسب التقديرات الفرنسية، ^(٤) كونت هذه العوامل كلها مشاكل لثورة الريف. لم يكن في امكانها التغلب عليها وأدت بها الى الزوال، فجيوش جبالة تخلت عن الكفاح وتعرضت قوة الثوار الى ضربات أخرى قاتلة فلم يبق لعبد الكريم الا الاستسلام فأمر المقاتلين بالرجوع الى الحياة العادية وسلم نفسه يوم ٢٦ يناير ١٩٢٦ منفرداً الى الجيوش الفرنسية المرابطة بناحية تازة فاستقبله الجيش الفرنسي استقبال القائد البطل، واخذ عبد الكريم الى المنفى، وانتهت جمهورية الريف بالنصر الكامل للاستعمار، اذ لم يحصل محمد عبد الكريم على أي وعد أو يقدم أي شرط لصالح القبائل. واستمرت بعض قبائل الريف في الثورة رافضة النهاية التي اختارها محمد عبد الكريم، لكن قوة هذه القبائل سرعان ما تفتت، اذ غرقت في الحرب مع جبالة ومن المفيد أن يلقي المرء نظرة على تركيب الجيوش الاستعمارية التي تمكنت من القضاء على ثورة الريف : الجيش الفرنسي ١٥٧ ألف = ١٢ ألف فرنسي + ١٢٤ ألف أوروبي + ١٢٣ ألف من شمال افريقيا.

الجيش الاسباني ١١٨ ألف = ١٠٠ ألف اسباني + ١٨ ألف مغربي.

تبين هذه الارقام أن الاستعمار اعتمد على المرتزقة من المغرب والجزائر وتونس لتكوين أهم جزء

من قوات لمحاربة الثورة التحررية في الريف.

١٢ - الشعب المغربي في ظل النظام الاستعماري

لم تكن استراتيجية الاستعمار الفرنسي تهدف السعي تحويل الهياكل الاقتصادية والاجتماعية بالمغرب تحويلاً تاماً بل كانت ترمي الى تحقيق هدفين أساسيين

١- امتلاك الاراضي وتسليمها للمعمرين

٢- البدء بتصنيع المدن لاستخراج المواد الاولية وايجاد سوق لمنتجات الوطن الأم.

أ- صراع الاقطاعية والاستعمار

كانت النتيجة الاولى للحماية كما جاء في التركيب الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع المغربي (هي أنها جعلت التناقضات الرئيسية بين الاقطاع والبورجوازية المغربية ثانوية بالنسبة لضرورة مقاومة الغزو الاجنبي وهذه الظاهرة ليست جديدة اذ كثيراً ما استغلت الاقطاعية هجوم الاسبانيين أو البرتغاليين على شواطئنا لتجنيد الفلاحين وسكان المدن دفاعاً عن حوزة الوطن فلما وقع العدم المباشر بين الاقطاع والاستعمار الذي أراد انتزاع الاراضي والاستلاء عليها، أصبحت الاقطاعية المغربية تلعب دوراً أساسياً في المقاومة الوطنية من انتزاع الاستعمار لأراضي الاقطاع جعل هذا الاخير يدخل ميدان الكفاح المسلح ليخوض - وهي الطبقة الرجعية - معركة سياسية ذات أبعاد تقدمية مثل ثورة الريف.

دامت المقاومة للاستعمار ما يزيد على ٢٠ سنة واكتسبت في بعض الاحيان سعة كبيرة بلغ سيطها الى الخارج ولكن هذه الثورات المستميتة وجه المستعمر لم يكتب لها النجاح والتخلص من الدخلاء لأن وسائلها وتكتيكها كانت ثقل بكثير من وسائل وتكتيكية المستعمر. فقد كان المستعمر يملك أسلحة عصرية أكثر قوة وفعالية من أسلحة الثوار العتقة كما أن المستعمر جهز جيشه بوسائل النقل والمواعيل العصرية وشرع في بناء طرق النقل التي تمكنه من التنقل السريع بين المناطق البعيدة. ولم تتمكن قوات الثوار من مواجهة العدو بقوة موحدة اذ كانت كل قبيلة تقاتل بمعزل عن الثوار الآخرين ولم تكن هناك مخططات موحدة على المستوى الوطني. لقد

اختار الثوار الطريقة التي عرفت فيما بعد بحرب العصابات وهما سهل على المستعمر القضاء على هذه الثورات لأنها لم تكن تعمل على أساس أهداف سياسية واجتماعية على المستوى الوطني وأما الثوار قد ارتكبو أخطاء تعد من أفدح الأخطاء بالنسبة لحرب العصابات فقد اتخذوا تكتيكاً يختلف عن مبدأ "اضرب واهرب" أي القيام بعمليات سريعة والتنقل بسرعة وعادة الضربة في مكان آخر الشيء الذي يضعف معنوية الجيش النظامي وينقص من فعاليته ويشتت قواه في النهاية تخلص الثوار من هذا المبدأ وحاربوا العدو بأسلوب الممارك الكلاسيكية للجيش المنظمة أي حرب المواقع وبما أن العدو كان يفوقهم من حيث العدد وارتجهزوا بعصرى السلاح منظماً تنظيمياً عسكياً كان دائماً هو المستفيد من هذه الطريقة في الحرب ويرجع هذا إلى كون المحاربين المغاربة كانوا يعتبرون الفرار جبن وفقدان للشرف . كما أن هذه الثورات كانت جميعها تحت قيادة الرجعية والقطاع الذين كانوا يهدفون إلى المحافظة على مصالحهما والدفاع عنها ولم تأخذ طابع الحرب الشعبية من أجل الإصلاحات الاجتماعية فحرمت هذه الثورات من التعبئة الشعبية وبقيت مقيدة بعقلية ونظام القطاعية . لهذا لم تتمكن ثورات قوية مثل ثورة ماس الحينين والإسماعيلي موسى وحمو باستثناء ثورة الريف أن تقضي على قوات الاستعمار ومن مزايا هذه الثورات أنها طورت الوعي السياسي لدى المغاربة وفتت أراذلهم لمقاومة الأجنبي وتحرير البلاد من سيطرته .

ب - سياسة الاستعمار في المغرب :

بعد الحصول على وثيقة الحماية أكمل الاستعمار سيطرته على جهاز الدولة وأصبح صاحب السلطة الفعلية بكل جوانبها ولم يبق من السلطة الدينية والدينية للسلطان - أي السلطة المطلقة - الا مظهرها وشرع الاستعمار في تطبيق أول مرحلة من مخططة للاستيلاء على الأجهزة السياسية والاقتصادية فحول الجيش عن صيغته الوطنية وهدفه أي المحافظ على وحدة التراب وطريقة تجنيده أي من التطوع إلى جيش محترف من المرتزقة وشكلت هذه الخطوة أحد العناصر المهمة التي مكنت الاستعمار من القضاء على الثوار ووصول إلى السيطرة على البلاد . ثم أطروا البلاد بجهاز إداري صار يتحكم في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والجنائية للمواطنين ثم أخذ ينتزع الأراضي الخصبة من ملاكها ويضع بد لهم الاستعماريين الأوروبيين وشرع في تجهيز الهوائي وإنشاء الخطوط الحديدية والطرق والتلغراف وتجهيزات أخرى لتسهيل عملية نقل خيرات البلاد إلى فرنسا وإسبانيا ودامت هذه المرحلة من سيطرة الاستعمار حتى بداية الثلاثينيات . وكانت هذه المرحلة من تاريخ الاستعمار في المغرب تتلخص في الحلول محل السلطة المحلية وبالنسبة للرأسمال الفرنسي والإسباني نهب وجلب خيرات البلاد الزراعية والمعدنية إلى بلادهم وتوظيف رأسمالهم في المشاريع الانشائية الكبيرة . وفي سيطرة الاستعمار على جهاز الدولة وخيرات البلاد لم يستخدم المواطنون الا في الوظائف التنفيذية الصغيرة والتي لا تحتاج إلى تكوين فني كبير وذلك حرصاً منهم على بقاء أبناء البلاد في تأخر هم الفكرى والاقتصادى كما أن سيطرته على السوق بمنتجاته المستوردة من أوروبا قد زادت من انتكاسة صناعات المحلية ولم يفتح المجال للتجارة المغربية الأفسى العمالدين المحدودة القيمة بمكلف البلاد كل مواردها للانفاق على البناء والتجهيزات التي كان يحتاج إليها لاستغلال البلاد بأحسن وأسرع الطرق ، أي أنه لم يفرض على المواطنين أن يسمحوا باستغلال بلادهم فحسب بل أن يعملوا هذا الاستغلال من خزانة الدولة لكن الاستعمار كان يحمل هدف من التناقضات في تكوينه كما أنه خلق تناقضات أخرى بوجوده وسط شعب ذات شخصية وتأطير مخالف له لذلك

تسبب وجوده في تطوير البادية والمدن دون أن يتخذ هذا التطور بل أنه عمل جهده لمنحه
لم يكن الاستعمار يهدف إلى إصلاح البلاد أو تصنيعها والتحسين من حالة أبنائها بل كان
قرنه الوحيد هو النهب والاستغلال والاستفادة ما أمكن مقابل أقل ما يمكن لذلك فقد حافظ على
بقايا مجتمعنا القديم بسبب سياسته التي كانت ترمي لأبقاء ما كان علي ما كان لقد وجد الاستعمار للمغرب
صناعة وزراعة متخلفة عن صناعة وزراعة أوروبا وجد الصانع والفلاح يستعملان وسائل إنتاج بسيطة
بدائية ويحصلان على إنتاج هزيل ويعيشان حياة قاسية كما وجد الجبل والتخلف في كل اليا دن
فلم يكشف الاستعمار على بالمحافظة على عوامل التأخر بل شجعها ودعم عناصرها بتشجيعه الأفكار
الرجعية واعطاء الامتيازات لملأئمة الرجعيين وطببوعي فقد كان هناك تحالف متبادل فالرجعية قاومت
كل بوادر الإصلاح في مجتمعنا (الذي الأوروبي الكهرياء إصلاح التعليم الخ) لكن لاالرجعية
ولا الاستعمار استطاع الوقوف في وجه التغيرات الاجتماعية التي كان لابد أن تنتج عن الاحتكاك
اليومي بالفرد الأوروبي .

جـ مناقشات النظام الاستعماري واستفادة الشعب منها

لقد أدى الاستعمار بطريقة غير مباشرة خدمة للشعب المغربي وهي استدراك ما فاتته وما كان
على البورجوازية الوطنية أن تقوم به في نهاية القرن ١٩ ومطلع القرن ٢٠ لو كانت هناك
بورجوازية قوية ذلك أن الاقطاعية التي لم تتعرض لأي خطر من طرف البورجوازية المغربية ،
قد تلقت غيرة قوية من البورجوازية الأوروبية التي جاءت لاستعمار المغرب مجهزة بمعدات والآلات
وامكانيات أضخم وأقوى من الوسائل التقليدية من الاقطاعية المغربية الا أن الاستعمار بعد أن حطم
مقاومة الاقطاعية وسيطر على جزء مهم من أراضيها وفرض عليها سياسته في السوق بادخال الوسائل
الرأسمالية في القطاع الفلاحي فرض عليها في نفس الوقت سلطته السياسية والاقتصادية دون أن
يعمل على افنائها لأن خطة الاستعمار في السيطرة على البلاد جعلته يجد في الاقطاعية حليفا
قويا ضد القوى الوطنية الصاعدة ووجدت الاقطاعية - بذورها - في الاستعمار مصدرا لسلطانها
السياسية والاقتصادية فتحالفت معه بعد أن قاومت ولعبت دورا خطيرا ضد التيار الوطني حتى أزد
١٩٥٣ .

د - ظهور الحركة الوطنية والطبقة الحاملة

بدأ الاستعمار في تنفيذ المرحلة الثانية من خطته الاحتلالية في الثلاثينيات بعد أن تم له
القضاء على الثورات ، وتتجسم هذه المرحلة في التصنيع ذلك أن فرنسا كانت قد استعادت قواها
بعد التخطيم الذي تعرضت له في الحرب ١٤ / ١٩١٨ واسترجع الرأسمال الفرنسي قوته فعاد
يكتسح المناطق المستعمر . كما أن أوروبا كانت تعهما موجة الناشئة التي أصبحت تعدد النظام
الديموقراطي الخري وخاصة حركة أدولف هتلر وعرف المغرب في هذه الظروف أكبر تواليقات
للرأسمال الفرنسي كما أن أكبر المشاريع الاقتصادية والصناعية قد أنشئت أو ورنعت أسسها في تلك
الفترة . وأوجد التصنيع شروطا متنوعة لنمو الوعي الوطني في المدن ولانتقال المقاومة من العمل
المسلح إلى العمل السياسي ومن البادية إلى المدن . ذلك أن التصنيع قد مس مباشرة مصالح الصن
التقليديين والتجار الذين تضاللت أرباحهم وعجزوا عن منافسة الآلات الحديثة . قال الاخ

عبد الرحيم بوعبيد في ندوة نضمتها الشبيبة العاملة ١٩٦٧ تحت عنوان الشباب المغربي أمام مسؤوليته : (ويعد هذه المرحلة - مرحلة الكفاح المسلح - التي استمرت الى ١٩٣٥ جاءت مرحلة الكفاح السياسي التي أنشأتها وحركتها جماعة قليلة من الشباب في المدن والبوادي ، مستمدة قواها وصلها المتواصل من الدروس القيمة التي خلفتها ثورة الريف وسائر مراكز المقاومة في مختلف أنحاء الأطلس كما استمدت تعاليمها وروحها الكفاحية من الحركات الوطنية التي كانت اذذاك قائمة في المشرق العربي وغرب المشرق العربي من الاقطار التي كلنت تعمل للتحرر من سيطرة الاستعمار والامبريالية) . لقد ساعد الاستعمار المغاربة على اكتشاف العالم الذي كان يفوقنا في الصناعة والعلوم وكل مظاهر الحياة من خلال وجوده وأدى تطبيق الاستعمار للطريقة الرأسمالية في استغلال البلاد الى وعي وادراك الحقوق والواجبات بتفكير جديد وكل هذا ساهم في الوعي الاجتماعي وادى الى خلق حركة اصلاحية كان أولها الحركة المعروفة بالحركة السلفية التي انبثقت من تطوان وفاس والرباط وسلا ومراكش وعملت على ابراز حقيقة الاسلام وقامت بحملة تدعو فيها المواطنين الى نيل الخرافات والتخلص من سلطة أدعياء الدين من رجال الطرق والجماعات التي كان يحركها الاستعمار ويترأسها بعض الاشراف الطامعين في العرش مثل الادارس والكتانيين . وهذه الحركة هي نفس الطريق أمام العمرة الاستعمارية ١٩٣٣ والمعروفة باسم الظهير البربري والتي كانت تهدف الى تقسيم المغرب الى مناطق عرب مسلمين ومناطق بربر كانوا يهيئون للتصير . وتسبب الظهير البربري في توجه الحركة الوطنية السلفية الى الميدان السياسي واديت كل هذه التطورات الى توسيع رقعة الطبقة البورجوازية وتقويتها والى ميلاد الطبقة العاملة المغربية فقد استطاعت البورجوازية الوطنية أثناء تكاتفها للدفاع عن مصالحها الحيوية أن تحتل مكانة الاقطاعية وأن تتولي قيادة معركة الشعب المغربي ضد الاستعمار الفرنسي . وأدى كل هذا التطور الى دخول الطبقة الحماة وصغار التجار والصناع ميدان الحركة السياسية فاعطوها المقاييس الوطنية التي طبعت الاحداث ووجهتها الى استقلال البلاد . أما الطبقة العاملة فقد اكتسبت وعيا اقتصاديا وسياسيا وثقافيا نتيجة لاحتكاكها مع العمال الاربين ونتيجة لحياتها الجديدة وقد دخلت ميدان الكفاح النقابي السياسي منذ سنة ١٩٢٦ اذ نظمت بالمغرب أول اضرابات العمال في القطاع العصري . أمام هذه القوى المتنامية والمتلاحمة - قوة العمال والبورجوازية - كانت لابد للاستعمار أن يجد حليفا له في المجتمع المغربي لمواجهة التيار الوطني ووجد هذا الحليف في الاقطاعية المغربية كما رأينا سابقا . لأن الاقطاعية المتفولة كانت تحرس على استمراريتهما كانبث الظروف وهكذا تعاملت مع الاستعمار مقابل الامتيازات الاقتصادية والسياسية التي أعطاها المستعمر لعرب الحركة الوطنية كما جند الاستعمار حلفاءه الرجعيين للوقوف في وجه التطور الاجتماعي ، ولما يذكر في هذا المجال المواقف الحزبية التي اتخذها المقيم العام بباريس الذي تمسك نفسه بهو وأصدقاؤه في الإقامة الحامة للدفاع عن الاسلام وبقاؤه بهذا الاسم كل اصلاح في التعليم والتجارة والفلاحة بصفته خروج عن التحاليم الدينية . في وجه الحركة التي اتجهت الى الميدان أما السلطان والمخزن فلم يترك لهما الاستعمار الا وجودا ظاهريا يتحضر في الموافقة على قرارات الإقامة العامة اذ أن السلطان أصبح منذ عهد يوسف اداة طيعة في يد الاستعمار وكانت سمعته وسلطته المعنوية قد تلقت ضربة قاتلة غداة توقيع عقد الحماية .

عزل الاستعمار المغرب عن العالم عزلا محكما ليحول دون اطلاع العالم عما يقوم به في المغرب من جهة وحتى لا يتطور من جهة أخرى كان الاستعمار يقوم بدور الوسيط بين المغاربة وباقي شعوب العالم وكان يقلب الحقائق في الاتجاهين : في الخارج يشوه سمعة المغرب ويبدل كل الجهود لاقتناع الرأي العام الدولي أن المغاربة همجيون ويشكلون خطرا على الحضارة الغربية ولا يستحقون أي عطف انساني وفي الداخل كان يفرض رقابة صارمة على الاخبار والجميع يذكر جريدة العلم وضفحاتها البيضاء وكان يمنع وصول كل الاخبار عن الحركة التحريرية في الوطن العربي وفي آسيا . وهكذا مرت أحداث خطيرة في تاريخ الشعوب العالم دون أن يوجد لها صدى بالمغرب ولم يطلع عليها المغاربة الا بعد مرورها بعشرات السنين . مثل ثورة اكتوبر العظيمة - ثورة العمال والفلاحين التي أوجدت في العالم أول دولة ديمقراطية نظام شعبي حقق العدالة الاجتماعية وتخلص من المتطفلين والمستغلين من اقطاعيين وبورجوازيين لينطلق في بناء المجتمع الاشتراكي . ثم ثورة العمال والفلاحين في الصين والهند الصينية وقد عرفت هذه الثورات أبعاد شعبية كبيرة في منطقة كانتون ومحمية هونغ كونج أدت الى زحف الجيش الشعبي الصيني بقيادة ماو وانشاء الصين الشعبية بعد الحرب العالمية الثانية وبعد معركة طويلة ضد الرجعية والاقطاع والامبريالية الغربية المتحالف مع اليابان . ثم ثورات الهند واندونيسيا ومصر وبورما وجمهورية الزمبيك وكوبا . ومرت أحداث أخرى خلفت آثارا كبيرا في عده مناطق من العالم مثل الازمة الاقتصادية العالمية ١٩٢٩ والتي جاءت نتيجة لطبيعة النظام الرأسمالي في أوروبا وأمريكا . فبقي المغرب بعيدا عن هذه الأحداث أيضا لأن الرأسمال الفرنسي لم يكن قد بدأ في خلق قطاع الصناعة اف كان لا يزال في مرحلة انشاء المشاريع الكبرى في النقل والمواصلات . وبقي المغرب عدة سنوات في معزل عن التيارات الإصلاحية الوطنية في العالم العربي والأسوي وعن تطور الحركة البروليتاريا في الدول الصناعية لم يستفد المغرب من الحرب العالمية الأولى لأن الصلة بها كان عن طريق العدد المحدود من الجنود المغاربة الذين شاركوا فيها من نظامهم الجديد كان قد أبعدهم عن كل شعور وطني وعن اندما بالشعب فحال بينهم وبين تأدية أية خدمة لشعبهم . كما أن المغرب لم يستفد من الحرب الاعلى الاسبانية بالرغم من أن الجنود المغاربة هم الذين كونوا القوة الفعالة في الميدان والتي أعطت لنظام فرانكو الفاشي القدرة على تشتيت قوة الجمهوريين ومكنته من أن يسيطر على الشعب الاسباني وواضح أن السبب في ذلك هو أن الجنود المغاربة أصبحوا تحت قيادة الاستعمار جنود مرتزقة وان المواطن المغربي العادي كان يحمل عداوة تقليدية لاسبانيا خلال عدة قرون وجعلتهم هذه الاسباب يخدمون الأغراض الفاشية ضد الشعب الاسباني وحال دونهم وأي اندماج مع الشعب . لكن التناقضات التي يحملها الاستعمار في طيات نظامه بتطبيق الاساليب الرأسمالية في الانتاج أدت الى تطور في عقلية المغاربة وفي مجتمعهم كما رأينا وجاءت الحرب العالمية الثانية لتغير الأوضاع بالمغرب كانت طرق المواصلات قد تطورت وتعرف السكان الحضريون بالمغرب على جهاز الراديو مما أدى الى خروج المغرب نسبيا من العزلة التي كان قد فرضها عليه الاستعمار الفرنسي كما ان السلطات الفرنسية في المغرب قد عرفت تمزقا وحيرة بين حكومة بيتان المتعاون مع الفاشية وحكومة الاحرار بقيادة دوكل كما ان المغاربة شاركوا في هذه الحرب مشاركة واسعة لم تقتصر على الجنود المرتزقة بل

شملت أغلب مناطق المغرب بعد أن وجه السلطان محمد بن يوسف نداً يدعو فيه المغاربة إلى الانضمام إلى الجيش الفرنسي لينضموا إلى قوات الحلفاء ضد قوات الفاشية ومن أجل تحرير فرنسا من الاحتلال النازي ، إن الأحداث التي دارت في أوروبا وعلى أبواب المغرب جعلت الشعب المغربي ولأول مرة يتعرف بصفة واسعة على العالم الغربي وأن يدرك المواطنون حقوقهم المقتضية وقيمتهم الدولية وعم الشعب شعور قوي ضد فرنسا والحلفاء لصالح حركة هتلر النازية ذلك أن النازية باحتلالها فرنسا قد ظُرت نوع ما للشعب المغربي المغلوب غلى أمره واضمحراحلال فرنسا للمغرب أن قوة الاستعمار مهما بلغت شدتها يمكن تحطيمها الشي الذي أعاد الثقة إلى نفوس المواطنين وشجعهم على العمل من أجل نيل الاستقلال • وعرفت فرنسا ضعفا اقتصاديا وسياسيا بحكم تشتت قواتها واحتلالها من طرف الالمان فاضطر إلى قبول بعض الإصلاحات في المجتمع المغربي منها تنظيم احزاب سياسية معترف بها وإصدار صحافة وطنية والتنازل عن بعض الحقوق النقابية للعمال وتأسيس مدارس ابتدائية وثانوية وطنية وإعادة بعض السلطات إلى البشوات والمقواد •

التطورات بعد الحرب العالمية الثانية :

فرغت الحرب على الاقتصاد الرأسمالي الاستعماري أن يحول انتاجه في المستعمرات الى انتاج خاضع لمتزويد جيش الاستعمار بالتجهيز والتمويل ثم سدد حركات الشعب الفرنسي بالمواد الضرورية، وتسبب هذا النوع في السياسة الاقتصادية الى تقييد الرأسمال الفرنسي بالمغرب ومنعه من التوسع والتطور كما تسبب في ايقاف تطور اليدوية التي صارت تخصص معظم انتاجها الى التصدير حسب متطلبات سوق المستعمر ووجدت الصناعة التقليدية السوق فارغا أمامها فتشلت وعرفت

تطورا كبيرا مثل صناعة الجلود والأحذية والفخار والنسيج الخ . . . دام حتى بداية الخمسينيات أى في الوقت الذي تخلص فيه الرأسمال الاستعماري من مضاعفات ومخلفات الحرب، وقد نتج عن هذا الوضع نكائر البطالة في المدن وخاصة في البوادي

انتقله

فالقطاع الحصري في الصناعة قل نشاطه منذ بداية الحرب والقطاع التقليدي لم يتطور نفسه وحافظ على نمطه العتيق غم يكن ذلك السوق الكافي لاستيعاب عشرات الآلاف من العاطلين عن العمل، كما أن الفجوة التي وضع حدًا للمشكلة في البداية لم يعد كافيا هو الآخر لاستيعاب الأعداد المتزايدة من العاطلين **الجالأ** العاطلون البدويين الى الهجرة للمدن، وأنشأوا مدن القصدير بشلوحي المدن الكبيرة، ومع سوء التغذية وانحدت الشروط الضرورية للصحة فعم المغرب

موجات من الأمراض المعدية كالتيغوس والسل والترخوم والجربة والقراع الخ . . . وطبعت أجيال ذلك العصر بنقص التغذية وأدت كل هذه الأحداث الى تحويلات في العقلية المغربية وفي المجتمع. (فلاصلاح) التي حصل عليها المغاربة كما رأينا، لم تكن نابعة فقط عن ضعف الاستعمار بل أتت نتيجة لتطور الطبقة البرجوازية، والضغط الشعبي الناتج عن التحولات التي غيرت في تركيب المجتمع المغربي وخاصة طبقة العمال والصناع والشفالين وجماهير العاطلين بالمدن الذين توسعت

رقعتهم وتضخم عددهم وجاءوا من كل أنحاء البلاد حاملين معهم تراثهم الثوري التقليدي . وفي أثناء الحرب أقبل المجتمع المغربي على تطوير نفسه فتحدى العقلية البرجوازية ومناورات الاستعمار وشرع في تطوير مظاهر حياته وطريقته، ففي عهد

الحماية انفتح الشعب على وسائل الحياة الأوربية فبدأت منتوجات الصناعات الأوربية تكتسح البيوت وتلد المغاربة الأوربيين في هندامهم ويعشوا بعشرات الآلاف من أبنائهم لمنابع دراستهم بالمدرسة الاستعمارية والمدارس الحرة الوطنية . كانت

الظروف مناسبة للبرجوازية المغربية لأن تفرغ وجوهها وتنتاقس السلطة مع الحكم الاستعماري ففي الدخل حصلت تغييرات لصالح الحركة الوطنية أفلقت سلطة الاستعمار الذي كان غارقا في الحروب الأوربية غم يكن في استطاعته مواجهة ثورة ما

بالمغرب وعلى المستوى الدولي غان الهجوم النازي على أوروبا قد قوى من شعور الحرية والاستقلال عند الشعوب الأوربية وفي الولايات المتحدة غمار الرأي العام مؤيدا لنحرير الشعوب وقد حمل لواء هذا التحرر رئيس الولايات المتحدة الأمريكية

روزفلت الذي عهد سلطان المشرب بالاستقلال أثناء مؤتمر الحلفاء بالدار البيضاء . . . رأى البرجوازية الغاروة مناسبة لتسليم السلطة فقامت بتنظيم الحركات السياسية وبالذعاية للاستقلال وباقتناع السلطان بهذا المعنى وقادت البرجوازية غسي

مساعيها هاته شبيبتها المثقفة ثقافة عصري مغربية وغربية والتي نشطت في الحركة الوطنية السلفية وأدت مساعيها الاصلاحية الى تطوير وسائلها وتنظيماتها والى خلق الأحزاب السياسية . . .

الأحزاب السياسية

لم توجد الحركة الوطنية الى تأسيس حزب سياسي واحد، لأن قادة الحركة البرجوازية انقسموا على أنفسهم الى أربع فئات حسب الطرق التي رأوها صالحة للنهوض بالمغرب من التخلف وتخليصه من سيطرة الاستعمار . كانت هناك

نظريتان مختلفتان كل الاختلاف عن بعضهما، الأولى كانت ترى أنه قبل القيام بأى اصلاح اقتصادي أو اجتماعي يجب التخلص من الاستعمار بمساعدة السلطان أى الاستيلاء على السلطة ان كانت هذه البرجوازية تؤمن باستمرار الاصلاح الذي بدأ في

عهد مولاي الحسن أى أنها كانت نهديأولا الى استقلال البلاد ثم القيام بوضع المؤسسات الديمقراطية واصلاح جهاز الدولة والقضوي بالبلاد وذلك تحت حكم السلطان . وكانت الفئة الثانية ترى وجوب القيام بالاصلاح قبل الاستقلال أى

وضع أسس الدولة والمجتمع المغربي لعهد الاستقلال قبل الحصول على الاستقلال وذلك للاستفادة من مساعدة الحماية الفرنسية

والإسبانية لوضع أسس لحكم سلطاني تأسيسي يحول دون انفراد السلطان بمجموع السلطات ومنع الاقطاعية من استرجاع السلطة التي كانت تمتنع بها قبل الحماية ونجح عن الاتجاه الأول تأسيس حزب الاستقلال بمنطقة الحماية الفرنسية وحزب الإصلاح بمنطقة الحماية الإسبانية وقدمت وثيقة للمطالبة بالاستقلال في ٢٠ نوفمبر ١٩٤٤ إلى الأقاليم الثلاثة وإلى السلطان عرفت باسم عريضة الاستقلال كما نجح عن الاتجاه الثاني تأسيس حزب الشورى والاستقلال في المنطقة الجنوبية وحزب الوحدة في المنطقة الشمالية، ويعتبر حزب الإصلاح امتداداً لحزب الاستقلال، كما وأن حزب الوحدة يعتبر امتداداً لحزب الشورى والاستقلال. عرف الأولان شعبية كبيرة إذ أن خطهما كان متجاوباً مع شعور الشعب الأفريقي أولاً وقبل كل شيء إلى إعادة الاستقلال للبلاد والنخلص من الأجنبي في الوقت الذي كان يظهر فيه عناصر حزب الشورى نوعاً في التعاطف مع الأقاليم الثلاثة من أجل تطوير البلاد والسير بها نحو بنين المومسات الديمقراطية قبل تحقيق الاستقلال الشامي الذي جعل جماهير الشعب لا تبنى إلا هذا الحزب وتراه منحرفاً عن أهداف الوطن. ظهر هذان الحزبان إلى الوجود بظهور عريضة الاستقلال وكانت هذه الوثيقة السبب في إبراز حزب الاستقلال وتقربه من السلطان محمد بن يوسف وجعله حركة جماهيرية واسعة سيما وأن قاداته قد اعتقلوا ونفي أغلبهم إلى النواحي الأطلسية والصحراوية كما عذب أغلباً بمر هذا الحزب ومنهم من مات تحت التعذيب في مراكز الشرطة ومنهم من أعدم بدون حكم مسبق.



١- أول انتفاضة شعبية:

امت أثر هذا القمع ثورات شعبية في كل المدن الكبيرة قمعها الاستعمار وجيشه من المرتزقة المغاربية والسفاليين قمعاً وحشياً، خلف عشرات الضحايا وكانت هذه الثورات تمتاز بعدة صفات جديدة فقد ظهر نهائياً أن مراكز المقاومة قد تحولت من يد الاقطاعية إلى يد البرجوازية والطبقات الشعبية إذ أن ثورات المدن التي بدأت بمظاهرات سلمية وقراءة اللطيف في المساجد تصاعدت إلى اصطدامات عنيفة بين الشعب وقوات القمع لم تعرف لها المدن المغربية مثيلاً في تاريخها وانصفت هذه المظاهرات بطابع شعبي تكرر عدت مرات حتى الاستقلال، وقد بدأت هذه المظاهرات بضم كل الحزبيين من برجوازيين ورجعيين وصغار التجار والصناع والشفيليين والماعظليين، ولما أخذت الحوادث تتطور ونقلت زمامها من يد البرجوازية التي لم تكن تنوغل على الأثر والقوى الكافية للاستمرار في العملية ونسيبها واستغلالها، عملت هذه البرجوازية لجعل حد لهذه الحوادث فتدخلت عن السير فيها بل أكثر من هذا عملت كلها ما في وسعها لإيقافها فصارت تدعو إلى الهدوء الأعصاب وعدم الانسياق وراء استفزازات الاستعمار وعدم القيام بأعمال العنف، لم تستطع البرجوازية إيقاف الثورة لكنها منعتها من التطور بالتخلي عنها والوقوف في وجهها واستطاعت بحكم نفوذها الجديد والقوى أن تحدد تدريجياً من ثورة الشعب، أما الرجعية فلم تنحدرى مشاركتها لهذه الانتفاضات الشعبية بالمدن تلاوة اللطيف والصلاة على أرواح الشهداء، واستعملت الاستعمار لأول مرة حليفه الجديد أي الاقطاعية التي لبنت نداء الاستعمار وعسكرت على ضواحي المدن وقامت الشعب في بعضها مثل مراكش وفاس والدار البيضاء وعازت الاقطاعية في هذا الوقت تكون قوة اجتماعية مغربية استعملها الاستعمار في عدة مناسبات لتحقيق أغراضه ولعلها عملت به في العمليات الداخلية بين المغاربية أنفسهم مثل إبعاد محمد بن يوسف عن الحرس ١٩٥٣. النجاء الشعب إلى السلطان في المشور في قصر الرباط يدعو إلى التدخل لدى الأقاليم العامة لإطلاق سراح الزعماء الوطنيين وتأسيس طلبهم بالاستقلال وكان موقف السلطان إلى جانب الوطنيين بدون أي التباس قد أعطاه شعبية كبيرة وأعاد للسلطان احترام الشعب وتأييده باستثناء الاقطاعية التي ابتعدت أغلباً عنها نهائياً عن السلطان، وهكذا فيفضل بعض قادة الحركة الوطنية خاصة بفضل مولاى الصربي العلوي انضم السلطان إلى الشعب وخسر الاستعمار خطه التي جعلت من السلطان عدة سنين أداة طبيعة مسالمة غيبير وهمة بين يديه. أما الشباب المغربي فقد أظهر في هذه المظاهرات دوراً الخلاص مرة أخرى في مواجهة الأحداث وانخاذ المسؤولية على المستوى الوطني واخضاع تطور الأحداث التي الأجل الذي يريده وينصوهر، كونهت الشبيبة المغربية العنصر الديناميكي المحرك في ثورة المدن،

وكانت هذه الشبهة تتكون من عمال وصناع وصغار التجار والطلبة والعاطلين أي من كل الطبقات المقيمة من سكان الألوخ إلى سكان القصور البرجوازية) ولدت هذه الفلدة الشعبية للحركة الوطنية حتى بعد الاستقلال.

استطاع الاستعمار القضا على هذه الثورات بفضل تحالفه مع الإقطاعية ونتيجة تخاذل البرجوازية التي لم تكن في مقدورها المضي في ثورة عنيفة قد تطيح بها هي نفسها ونتيجة الفقر الإيديولوجي في صفوف الجماهير وانعدام أي أغراض منظمة ومكونة تكويناً نظرياً علمياً يمكنها من تحليل الوضع حسب قوة الطبقات والوجود الاستعماري لتخرج بمخطط للإطاحة بهذا الأخير وغرس نظام يركز على العدالة الاجتماعية، كما أن الوضع العالمي للاستعمار قد تغير منذ يناير ١٩٤٥.

١ - المسألة الأسيروالية على العالم:

كانت قوة الحلفاء قد أخذت في تحطيم قوة الفاشية بسرعة البرق إلى أن احتلت جيوش الاتحاد السوفييتي برلين في ٨ ماي ١٩٤٥ وقضى على المقاومة اليابانية في المحيط الهادي. في نهاية هذه الحرب وضعت أسس صراع جديد على المستوى الدولي وقد أدت الحرب إلى توزيع أوروبا فقد احتلت جيوش الانجليز والأمريكان أوروبا الغربية وتلتسي ألمانيا واحتلت جيوش الاتحاد السوفييتي أوروبا الشرقية والثالث الباقي من ألمانيا يعني ذلك الملمة برلين، وفي مؤتمر "بوتسدام" وضعت اتفاقية لوقف الحرب، ونصت على تغيير الحدود بين الدول الأوروبية بأي معنى آخر حددت توزيع أوروبا بين نفوذ النظام الاشتراكي ونظام الديمقراطية الغربية. وكان هذا التوزيع يخضع لمخطط أسيروالي واستعماري عالمي. فالدول الاستعمارية بعد أن دخلت من الحركات تهدد إلى إعادة سيطرتها على العالم الثالثين جديداً، لكن الوضع في العالم كان قد تغير لأن الحرب علمت الشعوب شعارات الحرية وحقوق الإنسان التي كان الأوروبيون أنفسهم يطرحونها للتخلص من سيطرة النازية. عمت الثورات شعوب آسيا وبعض الأقطار الأفريقية. كما لم يضع أميركا في العالم في تلك الآونة جعلها تتصرف كقوة صالحة الاستعمار الأوروبي. لقد كون روزفلت لجنة تحت رئاسته روكفلر وترومان وعناصر أخرى من ممثلي الرأسمال الأمريكي الكبير وكلفت هذه اللجنة بوضع السياسة الخارجية الأميركية ويمكن تلخيصها في:

(١) إعادة تركيب المجتمع الرأسمالي الأوروبي.

(٢) قطع الطريق على توسع الاشتراكية في العالم.

(٣) السيطرة الاقتصادية على أفريقيا وآسيا أميركا اللاتينية.

عرفت أوروبا تقدم القوى التقدمية بقيادة البروليتاريا والأحزاب الشيوعية منذ الحرب العالمية الأولى إلى الحرب العالمية الثانية وحلت هذه القوى الوصول إلى الحكم في الدول السكندنافية وفي فرنسا وإيطاليا وبعد الحرب العالمية الثانية عادت هذه القوى لتكسب نفوذاً جديداً فإن تركيب النظام الاقتصادي البرجوازي كان قد لحقه ضرر كبير من جراء الحرب كما أن هذا النظام هو الذي تسبب في إشعال الحرب وتعرض لمخطط جماهير الدول الأوروبية فكانت أول حكومات أغلب الدول الغربية تتكون من أحزاب اشتراكية وشيوعية، وكان الخطر على الديمقراطية الغربية كبيراً إذ أن القوى الشعبية كانت تعتمد المثال السوفييتي وتطمح في تحقيق نظام الديمقراطية الشعبية التي تحطم الاقتصاد الرأسمالي وبالتالي تبعد خطر الحرب الناتج عن هذا النوع من الاقتصاد، وهذا هو الذي يفسر مشروع مارشال المعروف هذا المشروع لدى الجميع بأنه ثلاثة أمثلة تقدم إلى الدول المتضررة لتتمكن هذه الدول من إعادة بنائها وحطمت الحرب والتخارج من الموضحة

الاقتصادية والتجارية التي يركبها الحرب فيها وعرفت أوروبا فعلاً انطلاقاً كبيراً في الاقتصاد وخاصة في الصناعة وكان هذا هو المقصود بالذات فزاد على كون الرأسمال الأميركي أصبح موطناً في الصناعة الأوروبية ويستفيد من أرباحها

كما فأنتممكن النظام الرأسمالي من استرجاع قوته والسيطرة على الدول الأوروبية من جديد. وهكذا قاد الأميركيون بمشروعهم المسمى مشروع مارشال على تقدم القوى الشعبية لجماهير الشعوب الأوروبية وخلق حلفاً "أقوى" بأوروبا لمواجهة الاتحاد السوفييتي ودول أوروبا الشرقية التي أصبحت هي الأخرى تبني الديمقراطية الشعبية - بطرقها - ههنا. رومانيا، البانيا، تشيكوسلوفاكيا، بولونيا، النمسا الديمقراطية يوغوسلافيا - وخارج أوروبا عدت الولايات المتحدة

الأميركية التي تغيير النظام الاستعماري القديم الذي أصبح يشير ثورات الشعوب بيهود بنحطيم النفوذ الأوربي في آسيا وأفريقيا بتحقيق تحرير بعض الشعوب والتخلص من السيطرة الأجنبية وسيطرة الاقطاعية والبرجوازية المتعاملة مع المصالح الأجنبية أي باختصار نظام الديمقراطية الشعبية مثل الفيارات الثورية التي كانت نعم شرق آسيا. كانت أميركا تعمل على تغيير النظام الاستعماري بنظام أميركالي عرف باسم الاستعمار الجديد فبعد أن يعطي الاستقلال السياسي للشعوب أي بعد أن يعيد تسيير شؤون البلاد إلى أهلها يعمل المستعمر وحليفه الجديد الأميركي على الأمريكية على وضع مؤسسات وأنظمة خاضعة نهائيا إلى الرأسمال الغربي ونفوذ السياسي والاقتصادي وهذا هو نوع الاستقلال الذي كان روزفلت قد وعد به محمد بن يوسف الشبي الذي كان يعمل له الأميركيون ولو أدى بهمهم ذلك إلى الاصطدام مع المستعمر الأوربي القديم الذي لم يكن يدرك أبعاد هذا التكتيك الجديد في سياسة الرأسمال العالمي، وقد ساعد الأميركيون بكل الوسائل الحركات الوطنية للتعجيل بانسحاب الاستعمار القديم من المناطق التي أصبحت تهدد باحتدادها نهائيا عن دول المنظومة الرأسمالية، وأدى عزم أميركا على تحقيق هذا الهدف إلى مساعدة ثورات كان يحركها الشيوعيون مثل ثورة الفيتنام الذي كان الأميركيون يزودونها بالسلاح. وقد نجحت الأميركية الأميركية في إبعاد الاستعمار القديم وتمويجه وربط الدول الجديدة بالتمعية الكلية لمصالحها وسياساتها وهذا النجاح مشروط في دول حلف بغداد وحلف دفاع جنوب آسيا ولم تخلص من هذه السيطرة إلا المناطق التي كانت تتوفر على تنظيم عمالي قوى وأحزاب شيوعية ذات القاعدة الشعبية الواسعة مثل الصين وكوريا والفيتنام وحتى هذه المناطق لم تخلص من سيطرة الأجنبي على جزر من بلادها إلا بخاصة حرب عنتيفة مع الرجعية الوطنية أو مع جيوش الولايات المتحدة نفسها. كانت الحرية التي تريد لها الولايات المتحدة للشعوب القارات الثلاث لتحريرها من الاستعمار هي إبعاد سيطرة الاستعمار القديم وتمويجه بأنظمة محلية على شكل الديمقراطية الغربية بما في ذلك النظام البرلماني وتعدد الأحزاب والليبرالية في الاقتصاد وذلك حتى تتمكن الولايات المتحدة وحليفاتها من أن تتحكم في اقتصاد هذه البلاد أن وفي مصيرها وكل هذا مقنع بشعارات خلافة كشماعات الديمقراطية ووجوب النفع بحقوق الإنسان الخ . . . رغم أن هذه الحرية التي أرادتها الولايات المتحدة لم تكن إلا استعمارا جديدا مقنعا على الدول الاستعمارية الأوروبية لم تقبل هذا التفسير ولم تدرك آفاقه الحقيقية فقاومت له حفاظا على وضعها في مستعمراتها إلا أن الشعوب قد أصبحت تقاوم بعنف هذا الاستعمار الذي يعتمد على الاستغلال المافى . هذه بالخصار الظروف الخارجية التي وجد المضرب نفسه فيها عندما حاول لأول مرة أن يتخلص من الاستعمار وحقق: هذه المحاولة نظرا للعوامل الخارجية التي رأينا بعضها من جهة وبضعف الحركة التي قامت تطالب بهذا الاستقلال من جهة أخرى. لقد سدد رأينا أن الأثر البرجوازية هي التي قامت هذه الحركة وأصبحت منذ ذلك العهد تسيطر على الحركة الوطنية ونفوذها هنا نكمن الأسباب الحقيقية لتزييف ثورة ١٩٥٣ والنزاع ثم السيطرة على نذاتها ١٩٥٦ . كانت هذه البرجوازية ضعيفة لقلتها أطرها وحدائدها بالسياسة والتنظيم وضعيفة كذلك لأنها تمثل البرجوازية المضربة التي بقيت تعيش على هامش الحياة الاقتصادية منذ الاحتلال الأجنبي وحتى الحرب العالمية الثانية، فكانت بذلك تكون طائفة ذات نفوذ ضعيف في الاقتصاد والسلطة أما حزبها فقد كان حزبا جماهيريا قويا عرقل نشاط الاستعمار وحطم كل مناوئته وعيا الجماهير التي كان لها الدور الحاسم في النهاية ومن نضحياتها ومبادئها حصل المغرب على استقلاله، ولكن البرجوازية استطلعت أن تبلور قوة الجماهير لصالحها واستطاعت أن تعويز الاستعمار وتسيطر على مراكز القيادة في الثورة وتستغلها لحسابها خصوصا وأن الجماهير قد وضعت مستقبلها ومصالحها بين أيدي هذه البرجوازية وتبنت نظرة البرجوازيين وتحليلا نهم وآمنت بهم إيمانا قويا فبقيت تحت سلطانهم ونفوذهم . وكان هذا ممكنا بكون المعركة كانت ضد الأجنبي فتطلبت وحدة الصفوف وأصبح من الممكن إيقاع ذلك الخلط والمضالعة بين مصالح الشعب الكادح وبين مصالح البرجوازية المقنعة وراء المطالب الوطنية وكان ذلك أيضا ممكنا لأن الميدان السياسي في المغرب كان فارغا ولما وجدت تنظيمات سياسية لمثلها كانت هذه التنظيمات كلها برجوازية وقطعت الطريق

على كل تنظيم شعبي حقيقي ان اتممت القوى الطلائعية للجماهير الشعبية في تنظيماتها وحطمت أو حاولت أن تحطم كل ما كان يتعارض مع مصالح البرجوازية وكانت الجماهير الشعبية تسير في لبعيتها (البرجوازية) وتخدم مصالحها ولا يمكن أن يكون ذلك الا على حساب هذه الجماهير نفسها. ولما ظهر الحزب الشيوعي في المغرب سنة ١٩٤٦ كان يحمل في تنظيمه وفي سياسته عناصر فشلته ، انه كان تابعا للحزب الشيوعي الفرنسي فكان بذلك يتعارض مع الشعور الوطني لجماهير الشعب المغربي الذي صار بعد الاحتلال يخشى كل ما هو مرتبط بالتنظيمات الأجنبية ويرفض التعامل معها كما أن الحزب الشيوعي الفرنسي وفرعه بالمغرب أي الحزب الشيوعي المغربي كان يهدف الى تطوير البلاد المستعمرة من التخلف بقوة الصناعة المعاصرة من أجل خلق طبقة البروليتاريا في إطار الحماية الفرنسية التي منحها الشعب المغربي من سيطرة الامبريالية الاميركية ، وهذا لموقف داغ لنتأوة الأحزاب الشيوعية بعد الحرب العالمية الثانية ان أنها كانت ولحمة لمخططات الامبريالية الاميركية التي كانت تهدد كما رأينا الى شعوب الاستعمار القديم بالاستعمار الجديد الذي ما هو الا جانب من التنظيم الامبريالي في العالم ، ولكن الحل الذي اختاره الحزب الشيوعي لمستعمرات فرنسا لتخطين المواجهة الامبريالية كان يخدم مصالح الاستعمار وانبعثت رأس المال الفرنسي ويتعارض مع شعور ومطالب الشعوب التي حصلت على تجزية كافية لفهم معنى التطور والنقد تحت حكم الاستعمار الفرنسي ، وكان موقف الحزب الشيوعي هذا يعتمد على التحليل الراجح لحركة الشيوعية العالمية بعد وفاة لينين والتي عارضت الشيوعية الوطنية التي تزعمها جورجي ديمترويف وهو شيوعي ، كما أن الحركة الشيوعية تصرغت الى حملة عنيفة من طرف الرجعية والرأسماليين الغربيين فأخذ الشعب المغربي كأغلب الشعوب التي عرفت الاستعمار ، يتصرف على الحركة الشيوعية تصرفا منحرفا وتربكت لديه أحقاد عند هذه الحركة الثورية خصوصا وأن الدعاية الرأسمالية ركزت مجهوداتها على الشعوب المستعمرة ومنعها من القيام بدورها الطلائعي في معركة التحرير والتخلص من الاقطاعية وكل المتطلفين على حقوق الشعب مثل ما حدث في الهند الصينية وغيرها من البلاد الشيوعية فقطع عليها طريق البداية وحتى في المدن تصرغت له البرجوازية والرجعية مشجعة في ذلك من طرف الاستعمار فاقنصرت قلعة هذا الحزب على طبقة "الانثيليجنسيا" وبقي يعجز على هلمش المعركة السياسية والاجتماعية بالبلاد واضطر الى التخلي عن واجبه السياسي وعن دوره الطلائعي في تحرير الجماهير مثل ما حدث في الهند الصينية وكوريا .

كما تأسس حزب آخر على النمط الأوروبي سمي نفسه حزب الاحرار المستقلين أو عرف بحزب العشرين ولم يكن لهذا الحزب أي دور في عهد الاستعمار ، لكنه أصبح يكون في عهد الاستقلال أحد التنظيمات التي تمثل المصالح الفرنسية بالمغرب وعناصره الرئيسيين هم محمد رشيد طيبين ومحمد رضا كديرة [

— الصراع من أجل الاستقلال —

توسعت رقعة المنظمات السياسية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وخاصة حزب الاستقلال الذي صار حزبا جماهيريا كبيرا وظاهر ثقله في الميدان السياسي وتأثيره على توجيه الأحداث ، ووصل هذا التأثير حتى بلغ السلطان الذي أخذ في علاقه مع فرنسا يطالب رسميا بمطالب الوطنيين . كما أن حزب الاستقلال قد حول بعض المجهودات الى الخارج ، انه أصبحت بعض أطره مثل عبد الرحيم بوعبيد والمهدي بن بركة يتصلون مع العناصر التقدمية في الحكومة الفرنسية والحزب الاشتراكي والحزب الشيوعي للحصول على بعض الاصلاحات مثل الحقوق النقابية للمغاربة واصلاحات تنظيمية وتأسيسية في نظام الحماية والحصول على تأييد القوات التقدمية والرأى العلم الفرنسي لاستقلال المغرب .

أ- هيئة الأمم المتحدة : قدم الحزب وشيئة الاستقلال الى جمعية هيئة الأمم المتحدة التي كانت مجتمعة في باريس سنة ١٩٤٨ . تأسست هذه الجمعية بعد الحرب العالمية الثانية نتيجة طمح الشعوب وخاصة منها شعوب أوروبا والولايات المتحدة الى ضمان السلم في العالم ونسوية النزاعات بالمفاوضات في هذه المنظمة

الدولية وأعطوا مؤسسي هذه المنظمة الشعوب شعارات خلافة مثل حقوق الانسان وحقوق
تقرير المصير للشعوب وضمان اللجوء السياسي وغيرها ونتج عن هذه المنظمة فروع أدت للانسانية
بعض الخدمات مثل منظمة اليونسكو ومنظمة الصحة العالمية ومنظمة الطفولة العالمية الا ان هذه
الجمعية منذ تأسيس هذه المنظمة حتى اليوم وهي أداة بين أيدي الامبريالية الامريكية وحليقاتها
الدول الغربية استعملتها لتحقيق بعض الاغراض مثل تأسيس دولة الصهيونية وحرب الامبريالية
ضد الشعب الكوري والتدخل في الكونغو الخ كما استعملت هذه المنظمة لتغطية احتلال
الامبريالية لشعوب العالم المتخلف وازهار الحضارات الغربية وبالتالي أصحاب السلطة فيها
الرأسماليين بمظهر المصلحين والمساعدين للشعوب المتخلفة أو على الأقل استعملت لبث
الفوضى في عقلية الشعوب المستعمرة أمام الوجود الامبريالي في العالم . أما وجود الاتحاد
السوفيتي بالمنظمة منذ تأسيسها فلم يستطع قطع الطريق عن المناورات الامبريالية
ويبقى أن نذكر ان هذه المنظمة تمتنع عن ضم جمهورية الصين الشعبية التي يمثل شعبها
ما يزيد عن ربع سكان العالم ، كما انها لم تحل منذ تأسيسها أي مشكل اساسي لأي
شعب بل انها لم تستطع حتى جعل حد أكبر مجزرة عرفها الانسان والتي تقوم بها الامبريالية
الامريكية ضد الشعب الفيتنامي كما تسببت في مشاكل خطيرة لشعوب فلسطين وكوريا والكونغو
وتركت قيام المنظمة الفاشستية في جنوب افريقيا وروندسيا كما سلمت شعوب أخرى الى الفاشستية
الأربية لتستعبد بها مثل شعب جنوب افريقيا والقائمة السوداء لهذه المنظمة لانها قلما .
شجعت هذه المنظمة بصفة غير رسمية طموح الشعوب الى الاستقلال والتخلص من الاحتلال الاجنبي
كما أنها كانت عرقلة في وجه ثورة الشعوب النائرة كثيرا ما وجهت عناية متزايدة الى هذه المنظمة
تنتظر منها خلاصها من الاستعمار وهكذا تخلى بعضها عن الاعتماد الكلي على الطاقات المحلية
للاطاحة بنظام الاستعمار والقضاء على كل عناصر الاستغلال والاستعباد . وتجربة الشعب المغربي
مع هذه المنظمة لا تختلف بكثير عن تجربة أغلبية الشعوب المستعمرة الأخرى ، ودامت هذه التجربة
وتطورت الى أن حقق الشعب استقلاله . لم يحصل الاستقاليون على أية نتيجة من مساعدهم لدى
هذه المنظمة سنة ١٩٤٨ واستمروا في مساعيهم ، وأدت ثقهم بها واعتمادهم عليها لحل مشكلتهم
المغرب الى أن أوفدوا بعثة دائمة الى نيو يورك ترأسها بل افريج الذي انضم الى الوفد الباكستاني
وساعدها في مهمتها بعض الوفود من الدول العربية والاسلامية . وأدى بعض هذه الوفود خدمة
كبيرة للقضية المغربية أمام الرأي العام الدولي وخاصة منها وفد الباكستان بقيادة (غفر الله خان)
وفد مصر برئاسة (صلاح الدين) وفد العراق (فاضل الجمالي) والسعودية (الشقيري)
ويمكن تفسير هذا الموقف من طرف الدول العربية والاسلامية بخلافه مائلا على المغرب في
أحداث الأربعينيات وخاصة منها تطور الحركة السياسية بالبلاد وتأسيس حزب الاستقلال وموقفه لسلطان
تجاه العالم العربي الذي أعلنه في خطابه المشهور بطنجة سنة ١٩٤٧ والذي أثبت فيه انتماء
المغرب الى أسرة الدول العربية وعزم المغرب على انتمائه الى الجامعة العربية بعد استقلاله
زيادة على روابطها التاريخية وتحالفها الطبيعي وسهرها على تسليم السلطة الى الرجعية المغربية .
تمكنت البورجوازية المغربية بفضل تبني الجماهير الشعبية مبادئ حزب الاستقلال وتكوين قاعدته الواسعة
التي انضمت بالانضال الصلبة والتفحية بجميع أنواعها ، تمكنت البورجوازية من بلوغ موقع القوة السياسية

ذات المفعول الكبير ، تطور نفوذه بسرعة كبيرة صارت تهدد مصالح الاستعمار الذي لم يكن على استعداد لاقسام سلطته السياسية ومصالحه الاقتصادية مع البورجوازية المغربية سيما وأن الاستعمار كان في مرحلة اصلاح مخلفات الحرب العالمية التي أنهكته ، واعداد وجوده بالمستعمرات ذلك الوجود الذي ضعف اثر الانتفاضات الشعبية في شمال افريقيا والهند الصينية ومدغشقر ومستعمرات أخرى ، انعكس هذا التطور السياسي للبورجوازية على المجتمع المغربي الذي عرف تغييرات كبيرة ^{في أسلوبه} عيشه وتفكيره. ولندكر منها العطف والتأييد اللذان أخص بهما الشعب المغربي حزب الاستقلال و وكلنا يذكر عملية (البطالين) والتجربات الأخرى ومنها كذلك اهتمام الشعب الكبير بتطور الأحداث ومواقف حزب الاستقلال وتصرف المواطنين حسب تعليمات الأطر المتوسطة في هذا الحزب ، وبمقتضى المطالبة بأبنائهم مبنينهم إلى المدارس وغيرها من الظواهر التي أدلت على تطور وطني كبير زاد في تهديد مصالح الاستعمار وخوفه من ضياع مستعمرته المغربية ^{مما أدى به} وبالتالي ضعف مكانته في امبراطوريته الاستعمارية بافريقيا وآسيا ^{لذا عاد إلى} تغيير سياسته في المستعمرات وفيما يخص المغرب فقد تخلص في نهاية الأربعينيات عن سياسة التساهل والاصلاح الجزئي وعاد نأعطى المسؤلية بالمغرب إلى العسكريين ^{منصب على} رأس الاقامة العامة أخذ جنيرالاته المقدرين وهو الجنرال جوان ^{الذي يدل على أن فرنسا} كانت تخشى الى درجة كبيرة التطورات التي حدثت في المغرب وصممت على قمع كل حركة تحريرية للمغاربة مثلما فعلته غداة عقد الحماية سنة ١٩١٢ اذ أسندت السلطة بالمغرب إلى الجنرال ليوطي وفي أثناء ثورة الشمال بقيادة عبدالكريم الخطابي حيث كانت قد أوفدت إلى المغرب أقدر عسكريين بها وهو الجنرال بيتان للتعاون مع ليوطي . لما حضر جوان إلى المغرب شرع في تطبيق الطرق التي اتبعها ليوطي وكان اختيار فرنسا لهذا الحل لاسترجاع سلطتها على المغرب لا ينطلق من تقدير التغييرات التي سببتها الحرب العالمية ، ^{نكسب} بل كذلك ^{لتنشيط} لتطور الوضع في المغرب وفي اعتقده بالنسبة لهاء كما تسبب ذلك في اثاره الحذر لدى الشعب المغربي من جديد وجعله يحمل أكثر فأكثر للتخلص من الاستعمار كما أن هذا الاتجاه في السياسة الاستعمارية الفرنسية قد زاد في تصليب السلطان في موقفه الوطني وجعلت التعامل بين القصر والاقامة العامة شيئا مستحيلا جعل السلطان يتجه إلى باريس في مساعيه الاصلاحية مثل سفره الى هذه المدينة سنة ١٩٥٠ ورفض ادانة الوطنيين واعطاء المبرر للاستعمار للقضاء على الحركة الوطنية . صاحبت سياسة القوة الفرنسية بالمغرب توظيفات الرأسمال الفرنسي اذ دخلت الى المغرب من سنة ١٩٤٦ الى سنة ١٩٥٣ بما قدره ٥١٤٥ مليار فرنك أي بمعدل ٦٤،٩٢ مليار في السنة ، في الوقت الذي دخلت فيه ما بين ١٩١٢ و ١٩٤٥ ما قدره ٩١٦،٥ مليار فرنك أي بمعدل ١٦،٦٥ مليار في السنة ، وهذه العملية تبين عزم الرأسمال الاستعماري الفرنسي على استرجاع سيطرته على المغرب مثل ما كان عليه الوضع قبل الاستقلال أي استئصال الخيرات الطبيعية والطاقت البشرية للبلاد بمقابل تحصيل قوى توظيف الرأسمال الفرنسي في الصناعة العصرية الشيء الذي زاد في تقوية التغييرات بالمجتمع المغربي ، فبحكم التصنيع تقوى الطبقة العمالية وتنظيماتها النقابية ، وبإكتساح السوق بانتاج الصناعة العصرية عرفت الصناعة التقليدية انتكاسة جديدة حادة قضت على أكثرها مثل " الدراز " و " الفخار " و " الحدادة " وغيرها . . كما قوت جماعة السماسرة المغاربة وزادت بذلك في تطوير البورجوازية المغربية .

ان هذه العوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية المتعارضة بين الوطنية منها والاستعمارية قوت التصلب في كل من الجانبين كما تطورت الأساليب الى درجة العنف محاول الاستعمار أن يصبغ وجوده الاقتصادي والسياسي بالشرعية من جديد أي عن طريق المجالس القروية والحضرية للتجارة والصناعة والفلاحة المزروعة وجعل المفارقة يقررون في هذه المجالس ما يصبوا اليه الاستعمار . لكن عناصر حزب الاستقلال فكر أفسدت على الاستعمار لعبته واضطر الاستعمار الى التخلي عن هذه المسرحية عندما طرد جوان التجار الاستقاليين من الغرفة التجارية سنة ١٩٥٠ وكانت لهذه الحملة أبعاد كبيرة إذ أن الاستعمار بتخليه عن هذه الطريقة في الاستغلال قد اختار العنف وبصفة نهائية . ومن هذا التاريخ صار جوان يحصل على توقيع السلطان ابن يوسف بالتهديد وحصل منه على التخلي عن الوطنيين الاستقاليين والتبرؤ منهم ، فعاد هذا الأخير وأعلن أنه وقع هذا القرار تحت الضغط والتهديد ، لكن الأطر الإقليمية والوطنية لحزب الاستقلال وبعض الأطر الوطنية لحزب الشورى كانوا قد اعتقلوا أو نفوا ما زاد في تأزم الوضع ، وتخلي الاستعمار عن مسرحيته التي أفسدها عليه حزب الاستقلال ولم يترك له في المجالس المذكورة الا المعروفين بـ (بني ويوي) من الاقطاعيين والخونة الذين ربلوا مصالحهم بمصالح الاستعمار ، فصارت الاقامة العامة تحصل على كل المراسيم والظواهر لتثبيت موقعهم بالضغط والتهديد على السلطان وباستعمال العنف والارهاب في المدن والبادي ، كما وقع وأظهر في حوادث الدار البيضاء أحسن مثال عندما تظاهر العمال سنة ١٩٥٢ احتجاجا على اغتيال النقابي التونسي فرحات حشاد ، اذ قمع جيش الاستعمار المتظاهرين المسالمين قمعاً وحشياً خلف آلاف الضحايا وجمد أطر النقابيين بنفيهم أو سجنهم . [فوجد في هذه العملية الأطر الوطنية للعمال والسياسيين البورجوازيين ما زاد في ابراز الحركة الوطنية التحررية وابعاد جماهير الشعب الكادحة عن مفاهيم ومصالح الطبقات وعن ادراكها لمصالحها وحقوقها الحقيقية] فتمكنت البورجوازية بفضل ذلك أن تستمر في قيادة الحركة التحررية مثلما فعلت أثناء الحرب العالمية وأن تفرض ايديولوجيتها على الحركة التحررية ، وأن تنصب نفسها في قيادة هذه الحركة لتتخلص من الاستعمار الذي كان يحول دونها والسيطرة على السلطة والاقتصاد ، أما طبقة الكادحين من فلاحين وعمال وصناع وياقي المأجورين فقد اندفعوا بكل طاقاتهم في تعزيز الحركة البورجوازية الوطنية لعدم تمكنهم من القيام بتنظيم طاقاتهم وفرض وجودهم في الميدان السياسي ، فالحزب الشيوعي لم يغير شكله وأسلوبه والقادة النقابيون لم يتوفروا على الجرأة الكافية لينفصلوا عن حزب الاستقلال [وتجدد الإشارة هنا الى التأثير الذي أدته العناصر الشابة التقدمية في حزب الاستقلال مثل عبد الرحيم بوعبيد الذي عمل على إدخال تقلييد نخالية طبقية الى الطبقة العاملة ، وعبد الرحمن اليوسفي الذي ساعد على تنظيم العمال وقتلهم عن سي جي تي (CGT) خاصة بعد أن توفرت الفرصة في ١٩٤٧ بعد مأساة فلسطين اذ وفي العمال لمفعول الصهاينة الموجودين في اطارات هذه النقابة وكان لهؤلاء الرفاق وغيرهم مثل المهدي بنو بين بركة نصيبا كبيرا في تطوير نهج العمال وجعلهم يأخذون مكانهم في الحركة باضرابات وتظاهرات مثل اضرابات وتظاهرات ١٩٥٢-٥١ الا أن الفوارق الطبقيية لم تكن محدودة بين الطبقة الكادحة وبين الفئات الشعبية الأخرى نتيجة التنظيمات الاقتصادية القائمة ونتيجة الرواسب العقائدية الدينيية منها والسياسية ، فبقيت تخلط بين مصالحها الطبقيية والمصلحة الوطنية العامة ، فساهمت في الحركة التحررية

الوطنية معبلة بذلك بأبعاد الاستعمار وتحويله بالقوات المؤهلة لذلك في التسيير أي الطبقة
 البورجوازية بالدرجة الأولى مما أدى إلى اغتصاب نتائج الثورة من طرف القوات المتطفلة على مصالح
 الشعب عندما تطور التوتر بين القصر والاقامة العامة أي في الوقت الذي رفض فيه محمد بن يوسف توقيع
 ظهير استيطان الفرنسيين ، عونت فرنسا مقيمها العام بالمضرب ونجح الجنرال كيوم الذي
 اتبع خيلة سلفه وطورها ولم ييخل بالوعد والوعيد كقوله : " اللي فات مات " و " الوطنيين غدى
 نوكلمهم الثبن " فارتكب الاستعمار الفرنسي غلطة فادحة مرة أخرى إذ تجاهل شخصية الشعب المغربي
 ولم يستفد من التغيرات الأخيرة الحديثة بعد الحرب واستعمل الضغط والاكراه نتيجة احتقاره للأهلين
 وشعب فرنسا الاستعمارية بتصرفها في إثارة غيظ الشعب وتوفير الأسباب والظروف للاضطهاد العنيف .
 خلق تصرف الاستعمار جوا معاديا له وأبعد الأطر السياسية البورجوازية المسيرة بالبلاد طائفا أنه قد
 (قطع رأس الحنشر) كما قال كيوم وكان هذا التصرف أي عملية قطع رأس الحنشر قد فتح المجال
 أمام قوة الجماهير الشعبية وأمام العناصر الثورية الحقيقية إذ أب العناصر البورجوازية التي كانت
 تؤطر الجماهير وتفرض عليها التصرف والاتجاه الذي تريده القيادة البورجوازية لحزب الاشتغال فقد
 فقدت كل سلطة فعلية على الجماهير لأن جزأ كبيراً منها كان مجمداً في المنفى أو السجن والجزء
 الباقي لم يكن في مستوى السيطرة والتحكم فيها ، لكن فالفكرين والموجهين كانوا كلهم قد أبعدوا كما أن
 السلطة المعنوية التي كانت لهذه الأطر على الجماهير لم تعد كافية في الوقت الذي بلغ هناك حرمان
 البلاد من طرف الاستعمار درجة تهدد بالانفجار ، كما أن جزأ مهما من أطر الحزب تخلى عن خطة
 المهادنة والعمل السلمي للحزب وتبنت أعمال العنف ضد المحتل ، فعملت على تنظيم المظاهرات
 وقويت العراقيل ضد الاستعمار وزاد احتقاره للأهلين لتعنته وارتكاب الأغلاط الفادحة فنظام مسرحية
 تخيير السلطان معتمداً على قادة الاقطاع وعلى رأسهم الكلاوي الذي خدم الاستعمار خدمة كلية بعد
 أن كان أبوه أحد قادة الاقطاعيين ضد الاحتلال الأجنبي ، لذلك أن الحاج التهامي الكلاوي كباقي
 الاقطاعيين قد ربط مصالحه بمصالح الاستعمار واستمد سلطته من خدمته وأدرك أن استلام الحكم
 من طرف البورجوازية ليسرقي مصالحه بل وقد يعنى ذلك نهايته لأن البورجوازية قد تحالفت مع الطبقات
 المحرومة وقد تحللتها بعض الإصلاحات على حساب الاقطاعية كما أن البورجوازية تهدد كيان الاقطاعية
 نفسها بمنافستها في مصدر قوتها ووجودها أي في ملكية الأراضي ، لذلك خاضت الاقطاعية
 لعبة الاستعمار فعبأت نفسها لتنصيب سلطان الاستعمار الثاني مولاي محمد بن عرفة وهكذا تم
 خلع محمد بن يوسف ونفيه هو وعائلته إلى كورسيكا ثم إلى مدغشقر وذلك وسط موجة قوية من عمليات
 التأييد بالبادية لمحمد بن يوسف الذي أصبح يتمتع بشعبية كبيرة ووسط تحركات كبيرة للجماهير المدن
 التي قامت بإضرابات ومظاهرات نمت كل المواطنين من نساء ورجال وشيوخ من كل القلث ولم تمر هذه
 التحركات بدون اصطدامات مثلمة حدثت في حوادث ١٩٤٤ لكن بصفة أوسع وأعنف لأن الوعي السياسي
 والاجتماعي كان أكثر في سنة ٥٢ ولأن فراغ الميدان من القادة والأطر الحزبية التي كانت تتيد قوات
 الشعب وتقننها في اتجاه تكتيكها ترك الجماهير وجهها لوجه مع قوات الاستعمار فكان لابد من حدوث
 الاصطدام والوصول إلى تفجير الوضع إذ أن شعارات المسؤولين الوطنيين (ضبط الأعصاب والهدوء) لم تحل

لم تعد مناسبة ولا مقبولة، ويخلع السلطان عن العرش قسماً الاستعمار على كل أمل للوصول إلى حل المشاكل القائمة من طريق المفاوضات كما قضى على فعالية العناصر التي كانت تحمل هذه الشعارات أي أطر حزب الاستقلال وما أن نصب مولاي محمد بن عرفة وقام بأول مسرحية دينية في تنصيبه أي صلاة الجمعة الأولى بمسجد أهل فاس رباً لمشور بالرباط حتى تعرض لأول عملية الكفاح على يد البطل علال بن عبدالله والانتفاء السياسي والاجتماعي لهذا البطل يبين لنا من الذي أخذ على عاتقه مقاومة الوضع والعمل على إزالته. قال عبد الرحيم بوعبيد في الندوة المذكورة سابقاً: " لكن الذي يجنب أن نؤكد ونبرره ٥٥٥ ، أن بعد المطالبة والعمل السياسي جاءت مرحلة أخرى مرحلة العمل المسلح وذلك خلال سنة ٥٣ ، وكان الشباب المغربي من طلاب وعمال والمنشئ والمنام لهذه الثورة الحاسمة " وهذا الذي يفسر اخفاق الاستعمار في إرهاب الشعب واخضاعه لمخططة إذ أن الطبقات التي نظمت عمليات المقاومة المسلحة اختلفت كل الاختلاف عن الأطر التي قادت المعركة السياسية فهي من عمال وشبان من مثقفين وفلاحين انبثقوا من الطبقة المحرومة أو من الشباب الثوري الذين انضموا بالخبرة التي وردت في ندوة الشباب المذكورة لعبدالله ابراهيم : " لعل أبرز ميزات الجيل السابق هي أنه كان تحدياً للوضع العام الذي كان يعيش فيه " واستطاع هؤلاء الشباب أن يتخلصوا من سيطرة القادة الوطنيين وأقاموا تنظيماً محكماً توسعت رقعته وامتد أغلب المدن الكبرى مما زرع أعمدة الاستعمار وخلقت الفوضى في تنظيماًته واقتصاده فلم يكتف باظهار القوة واستعراضها في كل المدن لأن العمل المسلح وجد عطلاً وتجاوياً لا حد لهما داخل كل الأوساط المغربية باستثناء القطاعات البورجوازية الكبيرة لحزب الاستقلال وأدى هذا العطف وهذا التباين إلى سير الجماهير في رفض التعامل مع الاستعمار ورفض الخضوع لا غرائبه وقاطعت الجماهير منتجات الاستعمار وأهانت المقاومين بشتى الطرق ، فقام الشعب بطريقة الكفاح المسلح ومواجهة العنف بالعنف للتخلص من الاستعمار وتبلور كفاحها عندما تأسس جيش التحرير الشعبي الذي كونه حلقة هامة في قوة المقاومة للاستعمار وتحقيق الثورة الشعبية ، إذ أن جيش التحرير امتاز بتكوينه ، لقد هم عناصر انتقلت إلى كل نواحي البلاد من عمال البادية والمهنة كانت غايتها زيادة على التحرر إرادة الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي والسياسي بحكم تعارض مصالحها مع مصالح القطاعات البورجوازية والاستعمار وهكذا تحول هذا الجيش من هدفه الوطنية بعد تأسيسه إلى جيش شعبي ثوري بما في ذلك من معنى في أواخر عهد الحماية الفرنسية . فهم الاستعمار الخطر الذي يتحرف إليه على يد المقاومة المسلحة المغربية والقضاء النهائي على مصالحه ، قلب الونج بالمغرب بالقضاء على كل التنظيمات القطاعية والرواسب الرجعية وتخليص البلاد من عناصر التأخر فاشي الاستعمار تبلور هذه الحركة واتجاهها إلى تأسيس نظام شعبي بالبلاد يحول دون أي استفادة أوربية وتأثير أجنبي على المغرب كما أن الاستعمار كان مشتت القوى فهو يواجه أكبر وأكثف ثورة عرفها النظام الاستعماري الأوروبي وذلك في حرب الهند الصينية بقيادة لأبدال الفيتناميين ، كما عمت مستعمرات فرنسا بأفريقيا موجات تحررية زادت من نشاط الكيان الاستعماري الفرنسي خاصة في شمال أفريقيا إذ عمت الثورة تونس والجزائر والمغرب وظهرت بوادر وحدة الكفاح المسلح من أجل تحرير شعوب البلدان الثلاثة خاصة بعد انفجار ثورة الربيع بنزول جيش التحرير إلى

ميدان المعركة في ٢ أكتوبر ١٩٥٥ واقرنت عملية تيزي ووزو بعطية تيزي وسلى واخذت امس وحدة كفاح شعب المغرب العربي تلتحم في ميدان المعركة ، فادركت حكومة فرنسا الخطر الكبير الذي ينتج عن هذه الوحدة لا بالنسبة لمصالح الرأسمال الاستعماري الفرنسي فحسب ولكن ايضا بالنسبة لميزان القوى الثورية بالمغرب العربي واعطائها اهدافا موحدة لا بد وان تقوى جانب القوى الشعبية بالبلدان الثلاثة وتحقق اهداف الجماهير من الاستيلاء على السلطة السياسية والاقتصادية والقيام بالاصلاحات التي تقطع الطريق على الامبريالية والرأسمال الاوربي بتصفية الاقطاعية والبرجوازية الكبيرة وانتماء الى المعسكر الاشتراكي بصفة او اخري . ارغمت الوضعية الثورية التي عمت كل مناطق المستعمرات الفرنسية الحكومة والرأسمال الفرنسي ان يلتجئوا الى خطة الولايات المتحدة التي وضعتها في مخطط سياستها الخارجية بعد الحرب العالمية الثانية اي ان تعوض الوجود المباشر للاستعمار بوجود اضمن وهو وضع «لا هليين» ، مكان الاوروبيين في تسيير دواليب الدولة مع اعطاء الدولة الجديدة تنظيما واتجاها يربطها ربطا وثيقا ونهائيا بالوطن الام السابق ويفسح كذلك المجال للامبريالية العالمية لتغزو سوقه وتزيد في تقييده اذ انها تصبح تتحكم في انتاجه وسوقه الداخلية والخارجية وبالتالي يمكنها ان تملئ عليه سياستها الخارجية التجارية منها والعسكرية والدبلوماسية ، هذا ما عرف بالاستعمار الجديد والذي فسره المؤتمر الثالث لمنظمة الشعوب الافريقية في مارس ١٩٦١ «ومتى بدا انه لا مناص للاستعمار من الاعتراف بالاستقلال في مضمونه التحرري الصحيح ، اما بفرض اتفاقيات غير متكافئة في الشؤون الاقتصادية والعسكرية والفنية واما بثنصيب حكومات عميلة عن طريق انتخابات مزورة اما باختراع اشكال دستورية بدعي تنظيم تعايش القوميات المختلفة بينما هي في الحقيقة ضمان للسيطرة العنصرية لفائدة المستعمرين وعند ما لاتجدي هذه المناورات في النيل من نضالية المنظمات الشعبية التحررية وتصميم عزمها ، فان الاستعمار ويوفى النزاع لاخير يعمد الى التستور وراء شبه الشرعية ، والتدخل الموجه للامم المتحدة» هذا ما فعله الاستعمار في المغرب وتونس وهو الشيء الذي ذكره المهدي بن بركة في (الاختيار الثوري) وقد تمت «اكسربان» عند هذه المرحلة بالدات ، ان عند نهاية تطوره طرحت فيها موضوعيا قضايا جوهرية بالنسبة لمعركتنا ، وهي دور واهداف الجماهير الكادحة الحضرية مع ضرورة ارتباطها بالجماهير القروية ومسالة اللجوء الى العنف لا في اطار محلي ضيق وانما في مستوى افقي متسع في النضال ضد الاستعمار والمستوى الافقي المتسع في النضال ضد الاستعمار يقصد الكفاح على مستوى بلدان شمال افريقيا وبناء اسس وحدتها في الكفاح الموحد لادماج افكارها ببعضها البعض وتوحيد ادبيولوجيتها التي لا يمكن ان تكون الا خاضعة للمصلح واهداف الطبقات التي تخوض المعركة ، ولهذا كان على قادة الحركات الثورية لا يقد موعلى موقف خطير بالنسبة لهذه الحركة الثورية للبلدان الثلاثة لانتيجة موقف موحد في اي حل يتخذ التزاما الميثاق ثورة المغرب العربي الذي حدد بين تونس والجزائر والمغرب قبل بداية العمل المسلح الا ان فيما يخبر المغرب ما ذكر بن بركة فان المفاوضين المغاربة باكر لبان قد قبلوا الحلول المقروضة عليهم والتي ادت الى اتفاقية سان كلو التي وقعها بن يوسف ونصت على استقلال المغرب غوافق

المفاوضون المغارسة ومن ورائهم القادة السياسيون البورجوازيون الناطقون باسم الثورة المغربية على المؤامرات التي احيكت ضد الشعب المغربي والجزائري بفصل الاولى عن الثانية وعزل الثورة الجزائرية عن حليفتها الطبيعية الثورة المغربية ، كما أن ثورة المغرب قد انتكمت بعد الاستقلال السابق لأوانه إذ ان المدة لم تكن كافية للقضاء على هياكل الرجعية والاقطاعية وابرار ايدولوجية الطبقات الكادحة وتكوين قادتها ورفعهم الى مستوى المسؤوليات العالية في الكفاح المسلح . لقد تمت اكس ليبان في غياب الثورة المسلحة وتآمر عليها من طرف بورجوازية الحزب والاستعمار ، ويجب التمعن هنا في موقف القيادة البورجوازية الحزبية ازاء المقاومة لادراك موقفها المتآمر باستمرار على المقاومة التي ان صفتها .

كان الحزب يعبر عن افق العمل المسلح ، لكن في الواقع كانت البورجوازية الحزبية تخشى العمل الشعبي العنيف وادراكا منها انه في احدى مراحله سيوجه ضرباته اليها ويصفبها مثل تصفيته لباقي المتطفلين على مصالحه . وهذا الذي يفسر لنا رفض الحزب تزويد المقاومة بالمال عندما توجهت اليه في بداية عملها ، وهو الذي يفسر لنا كذلك معارضة الحزب للمقاومة باصدار التعليمات الى اطره بعدم التعاون مع رجال المقاومة واستنكاره الرسمي لعملية المارشى سنترال والمكوت عن الوضعية السيئة للمقاومين في السجون ، ورفض الدخول في قيادة العمل المسلح ، واشكال اخرى من تآمره كتشجيع الحزب للحركة السياسية التي قامت حول البكاى في باريز للتعجيل بالاستقلال ، كل هذا ادى الى التنافس بين حركة المقاومة وحركة السياسيين ، ودفع بقيادة المقاومة الى التعامل مع القصر وعناصر غير سياسية فسقطت في ايدي عدو لا يقل خطورة عن البورجوازية ، عمل

بتعاون مع البورجوازية الحزبية على تصفية المقاومة وجيش التحرير فيما بعد . كانت اتفاقية اكس ليبان ابعد من ذلك ، قال ابن بركة في نفس الكتاب : « لقد وقفنا من قضية الديمقراطية موقفا خاطئا فقد كان من البديهي ان تكون النتيجة المنطقية لتسوية اكس ليبان بالنسبة لحركة التحرير هي ان تفرض مراجعة كاملة للجهاز السياسى والادارى في البلاد لا فحسب لان ذلك كان هو المطلب الشعبى الاول قبل ان توضع مسالة الملكية سنة ٥٣ ، بل يتسنى تحديد المسؤوليات دون تاخر . الا ان خطة الاستعمار نجحت في ان تجعل قضية السيادة المغربية وكأنها تتلخص في مشكلة رجوع الملك كرمز لهذه السيادة . وسلك الاقطاع المغربي بايحاء من هذه السلطات الاستعمارية بنفس الخطة التي كانت تخدم الاستعمار ثم الاقطاع في آن واحد ، »

ونسى ان الاستعمار قد نجح بفضل تخاذل وفد حزب الاستقلال فى المفاوضات وقبوله
انصاف الحلول اذ انه لم يتمكن حتى من ضمان مصالح البورجوازية فى اتفاقية
الاستقلال لان هذه الاتفاقية كانت قد حولت المشكلة المغربية من استقلال شعب
الى اعادة سلطان كان قد خلع من عرشه ، وهذا ما لم يعه المغاربة رغم
ان الفكرة التى كانت تروج فى اوائل عهد المقاومة المسلحة كما جاء فى كتاب
شارل لوكران : « العدالة وطن الانسان » الذى يتكلم فيه عن محاكمة
البطل حمدان الفطواكى حيث قال له رئيس المحكمين « يجمل بكم ان تطالبوا
باستقلال بلادكم لا برجوع السلطان » ، وكانت هذه العملية من اكبر المؤثرات
التي قام بها الاستعمار وسائره فيها الاقطاع والبورجوازية الاستقلالية عن
طريق وفودها فى المفاوضات ذلك ان السلطان بعد عودته ، عاد فظم
كل السلطات بين يديه وسرر موقفه هذا بعدة مبررات منها ان البلاد تحتاج
الى تنظيمات تاسيسية على مستوى المدن والبادى وتأسيس مجلس استشارى ليكون
بمشابهة المدرسة البرلمانية للمغاربة وخرافات اخرى من هذا النوع ، وكان
لتوقيع السلطان ابن يوسف لاتفاقية سان كواضاف الصبغة التمثيلية وتجميع السلطة
المركزية فى يديه وذلك للاحالة دون القوى الوطنية البورجوازية من وضع مؤسسات
ديموقراطية تمثل الشعب فى المفاوضات مع فرنسا على الاستقلال اذ كان من شان
ذلك ان يحد من سلطة السلطان ويبعد الاقطاعية حليفة الاستعمار الكبى ، والسلطان
بتصرفه هذا غطى بعمليات مزيفة ذات الصبغة الديموقراطية فى الوقت الذى صار فيه يبنى
سلطته المطلقة فاستغل تجميع السلطات فى شخصه لبناء اسس دولة الحكم الفردى ،
فهو الذى ينصب الحكومة ويقيها كما انها مسؤلة امامه وهو الذى يوافق او يرفض فى النهاية
اي مشروع حكومى وهو الذى يعين اعضاء المجلس الاعلى للقضاة فاقتصب سلطات الشعب واحتكر
جهاز التنفيذ من وزارة الداخلية واجهزة الامن ووزارة الدفاع ونصب نفسه قائدا اعلى للجيش
الذى يؤدى له القسم لا للامة ويتعهد بهذا القسم فى خدمة القصر .
قال المهدي ابن بركة فى الاختيار الثوبى « هل من حاجة الى التذكير بالمعارك
المتعددة التى

اضطربنا لغوضها من سنة ١٩٥٦ الى ١٩٦٠ دون أن يحرف الشعب شيئا عنها وكلها كانت تدور بين راجدان أساطين حزب الاستقلال أودخل القصور الملكية ذون أن ينفذ مصادرها الى الخارج ٠٠٠ ولم نقم بواجب التوضيح امام الرأي العام لهذه المعارك المتجددة على تعاقب الحكومات في الوزارتين الائتلافيتين الاولى والثانية الى حكومة بلافيج وبعد الله ابراهيم ٠ ولم نقل قط للشعب أننا كنا فاقدين لوسائل تنفيذ برنامجنا " ٠ لقد قام السلطان محمد بن يوسف بمسرحية من نوع تباثيف وأنقذ دوره على أحسن ما يمكن لقد تظاهر بالترفع على المنافسات السياسية التي لم يكن لها وجود قبل الاستقلال والتي خلقها الاستعمار بمفاوضات اكسر ليان وتبناها السلطان . ترفع على هذه الصراعات السياسية السورية ونصب نفسه ممثل الشعب وحامي مصالحه وأظهر نفسه كأكبر مدافع عنه لينزع هذا الدور عن حزب الاستقلال في الوقت الذي كان يحمل على تفتيت الثورة وتنظيماتها وقطع الطريق على الجماهير الشعبية من تحقيق التغييرات التي كان من حقها أن تقوم بها بعد أن تخلصت من الاستعمار . وفي هذا الاطار يدخل اتحاد الموقت الأيوبي من منظمة العمال ومن جيش التحرير . لقد تكونت هاتان المنظمتان الشعبيتان العظيمتان في ميدان المعركة . فكان جيش التحرير الشعبي مكمل للحركة المسلحة الحضرية وتأسس الاتحاد المغربي للشغل في ١٩٥٥ بالدار البيضاء فأعطى العمال وكل الكادحين منظمة قوية بتنظيمها واختيارها . وكان المقصود من تبني القصر لهاتين المنظمتين هو جعل الاولى نقابة رسمية مبعدة عن كل محتوى نهالي طبقي - والدمج الثانية في الجيش وتشيتها . وتمكن السلطان الذي أطلق على نفسه اسم الملك محمد الخامس ودخل هذه العملية في إطار الديماغوجية المتبعة بالاصلاح - من النجاة في القضاء على جيش التحرير والمقاومة وخسر في مؤامره ضد النقابة الحاكمة مع أن الرجعية والبورجوازية ساعدته في كلتا العمليتين مساعدة كبيرة . قال بن بركة في كتابه المذكور : (وهكذا ففي الممارك التي دارت داخل اللجنة التنفيذية أو اللجنة السياسية لحزب الاستقلال حتى ٢٥ يناير ١٩٥٨ فان انزلاق بعض القادة في طريق المساومات الانتهازية هبل وساهمهم في المؤامرات الخسيسة ضد جيش التحرير والمقاومة أو النقابات العمالية كان منشأ اصطدامات عنيفة لو أعلن عنها في ابائها لوفرت علينا كثيرا من الوقت وخيبة الأمل والمزيد من التضحيات) نجح القصر ومع الرجعية والبورجوازية في تشتيت جيش التحرير واتلاف تنظيمات المقاومة ولم يتمكن من القضاء على النقابة . وهذه ظاهرة تستلزم البحث فيها وادراك الأسباب التي أدت الى زوال المنظمين الأوليين وصمود الأخيرة لنستخرج العبرة ونجعلها إحدى مقاييسنا لتحقيقتنا في المستقبل ٠ لماذا نجح القصر في جانب من المؤامرة وخفق في الجانب الثاني ؟ ولكي لا نترك هذا التحليل مجردا عن طوره الوطني يجب أن نتعرض أولا للمسىء سؤال آخر هو كيف تمكن القصر ومعه الاقطاعيين والبورجوازية من غصب

الشعب ثورتهم ؟

ان أسباب انتكاسه الشعب في ثورته ترجع الى رواسب مجتمعنا القديم
والانطلاقة السياسية المنحرفة لجماهير الشعب المغربي أثناء الحرب
العالمية الثانية مما أدى الى نجاح المتأمرين على الشعب من استعماريين ورجعيين
وبورجوازيين . رأينا أن رواسب مجتمعنا كانت من الاسباب التي عرّضت البلاد الى الاحتلال
ونعني بهذا الرواسب الفكرية منها والحقائقية والاقتصادية ونظام توزيع السلطات .
~~هذا بالنسبة لمجتمعنا القديم~~ كما رأينا أنه من فجر انبعاث شعبينا في السنين الاخيرة
من استعمارهم كيف أن الحركة التحررية السياسية خضعت لادبولوجية البورجوازية وكيف أن
جميع الأحزاب كانت خاضعة لهذه الفلسفة كما أن الحزب الشيوعي- الذي حسب المفهوم
المبدئي للشيوعية حزب طلائعي- ~~كيف أن هذا الحزب حرم~~ من القاعدة الشعبية
نظرا لفعول الدعاية الامبرالية التي وجدت ميدانا خصبا لها في الاعتقادات المذهبية
المشوهة التي ~~كانت~~ ^{كانت} هيمنت على الشعب وكيف أن هذا الحزب حمل عناصر فشله لانتهاكه الى
الحزب الفرنسي وتبنيه خطة هذا الحزب في مشكلة المستعمرات الفرنسية فبقي هذا
الحزب يعيش على هامش المعركة الشعبية ضد الاستعمار . كل هذه العوامل أثرت
كثيرا على الثورة المسلحة لشعبنا ومكنت الاستعمار من تحقيق مؤمرته ضد الشعب المغربي
التي ظهرت ~~في~~ ^{منذ} البداية في تشخيص قضيتهم في مشكلة السلطان والتفاوض على أساس رجوعه
من المنفى الى المغرب لاعلى الاصلاحات التي تسببت في أزمة ١٩٥٣ وقام الشعب من
أجلها . إلا أن هذه المطالب قُرنت بمطلب رجوع السلطان وفاق من الجماهير له لأنه
قبل النفي عوش الخضوع امام عجرفة الجينرالات الفرنسيين ورفض الاصلاحات التي كانوا
يفرضونها عليه والتي كانت ستعيده الى الوضعية التي كان عليها قبل ١٩٤٦ أي أداة
طبعة في يد الاستعمار . ذلك أن السلطان في ١٩٤٤ الى ١٩٥٣ كان قد مارس نوعا من
السلطة والأهم من هذا أنه كان قد أعاد لعرش العلويين احترام الشعب وطاقته ففدّيل
المحافظة على هذا المكسب لعرش العلويين على أن يخدم مصالح الاستعمار وهو يعرف
أن الشعب لا يسد ~~وأن يتخلل من سلطان الاستعمار~~ ^{فقد كان}

وأن يغادر من سلطان الاستعمار الذي يتنازل أمام مطالب الأجانب على حساب البلاد، بل وأنه يطيع بالحائلة الحاكمة. **أما** هي أقدمت على التعامل مع الأجانب. لقد أدرك محمد بن يوسف هذه الحقيقة التي تكررت عدة مرات في تاريخ المغرب وبلغ من الحكمة درجة ~~أنه استغاد~~ من التطورات لاعادة شرعية العرش العلوي لدى المغاربة بتزعمه المتطالبة بالاستقلال متجاوبا بذلك مع أقوى مطلب وطني للمغاربة منذ أن أصبحوا ينظمون دولة كما رأينا سابقا، وكلنا يتذكر شعبية بن يوسف هذا بالنسبة لعرش العلويين ولم يكن ذلك هو الدافع الوحيد لتزعمه حركة التحرير ذلك أنه كان يطمح في الاستيلاء على السلطة الفعلية التي كانت حسب تقاليد الحكم بالمغرب كاملة لا يتقاسمها السلطان مع أية مؤسسة. ومعنى استيلاء محمد بن يوسف على السلطة المطلقة هو إعادة تركيز دولة العلويين خاصة وأن الشعب والمنظمات السياسية جعلت منه سلطانا وطنيا وأملته ثقته. وكان هذا كافيا لتحقيق أغراضه منظاهرا بالعمل لصالح الشعب والتفاني في خدمته. كان الاستعمار الفرنسي وأهله لهذه الحقائق فعمل على إخراج مساعي بن يوسف في الوقت الذي فرض عليه الانحساب من المغرب. ذلك أن حكم السلطان للمغرب يتجارب مع مصالح الاستعمار لكثير من **أحكام** آخر برجوازية أو تقديميا وهذا ما غرسه قول ابن بركة في كتابه: ((أن تكون بيد الحكومة سائر وسائل السلطة، وبالأخص الشراء على موظفي وزارة الداخلية والمحافظين وكذلك مصالح الجيش والشرطة والدرك التي كان القصر يعمل على احتكارها. وكما كلما وضعنا مشكلة هذه المناطق الصحراوية أو أدرجناها أعمال أحد المجالس الوزارية، وجدنا أنفسنا موضع هجوم مركز من ~~أهوال الصحافة~~ الاستعمارية الفرنسية تحت عناوين بارزة ومنشآت (العرش المغربي في خطر) وفي ذلك منتهى المفارقة لصدوره من أولئك الذين اعتدوا على العرش من قبل ثلاث سنوات.)) أي أن الاستعمار عندما غفل بن يوسف على أية حكومة وطنية أخرى عبا طاقاته لوضع أسس الحكم المطلق للسلطان وتوحيده. **الفئات** الحليفة له ~~من البرجوازية والقبائل الشعبية والصالحين على نفقة قوة الوطنيين، وكذلك تفسير وجودهم الاقتصادي والعسكري والسياسي على غرار هذه~~ التنظيمات لضمان المصالح الاستعمارية وهكذا التفت مصالح الاستعمار ومصالح القصر في فجر الاستقلال فخطط الأول ونفذ الثاني. لقد أحاط الاستعمار مؤامراته "أكس ليبان" بمسرحية الإصلاح والديمقراطية التي أبعدت أنظار الشعب عن هذه المؤامرة. وبعد عودة بن يوسف من المنفى إلى فرنسا نظم الاستعمار مسرحية الكلاوي الذي طلب الحفوف من السلطان، ففتح عنها مكسب مزدوج للسلطان وللانتماء إذ عفى عن كل الاقطاعات الذين ساندوا فرنسا في عملية خلعهم سنة ١٩٥٣، وبهذا تكون فرنسا قد حصلت على ثمرة ساحرة الاقطاعات المغربية وإخلاها للقيام بدورها الكامل بجانب الاستعمار الجديد وليجد فيها السلطان خير سند وعيون في الحكم المطلق، فصارت الاقطاعات حليفة السلطان بعد أن كانت معادية له.

العنصر الثاني في مؤامرة الاستعمار هو فرض تعدد الهيئات المفاوضة بـ "أكس ليبان" إلى جانب حزب الاستقلال الذي أصبح **كان** الحزب السياسي المنظم الوحيد. ~~فإننا نحن~~ استثنينا محاولة تنظيم حزب الشورى والاستقلال من جديد غداة رجوع السلطان إلى فرنسا فلم يكن بالمغرب أي حزب سياسي آخر ذات تمثيلية واقعية وأما الاقطاعات التي **كانت** بجانب الاستعمار في عملية الخلع وفي قمع الثورة الشعبية غشار الشعب عندما وعد الاستعمار في نفس الوقت بذلك كان على حزب الاستقلال والشعب أن يرفضوا مشاركة هذه الاقطاعات في المفاوضات. تنازل الاستقلال ليبر أمام عزم فرنسا على **إحضر هنا الاقطاعات** في "أكس ليبان" وكان هذا بمثابة تنازل خطير أعطى الاستعمار الفرنسي اذنية تحقيق أهدافه عن طريق فئة الاقطاعات أو على الأقل جعل هذه الفئة تعارض المطالب الجماهير الشعبية والنسبي تعمل البرجوازية على تحقيقها، **أبلى** جعل تطبيق هذه الإصلاحات نخضع لمصالحها أولا قبل أن نخدم مصالح الشعب. أما الاستقلاليون المعبرون عن مصالح البرجوازية المغربية، **الممثلين** للجماهير الشعبية فإنهم وجدوا أنفسهم بحكم قبولهم الجلوس إلى جانب الاقطاعات في المفاوضات أمام قوتين متناقضتين متكاملتين زانه في خطورتهم ما تعبیر إحدى الفئات عن مصالح طبقة من المغاربة فكان الاستقلاليون قد انطلقوا مقيدون بهذه الوضعية في المفاوضات وما يقال عن الاقطاعات يطقن قوله أقل أو أكثر عن البرجوازية البير وقراطية التي مثلت الطرف المغربي الثالث في المفاوضات والممثل في الغالب بن سليمان من عائلة وزير خارجية مولاى الحسن ثم عبد الحزير والذي امتاز

فقد

بمطغ على فرنسا وعمل على تقوية الصداقة الفرنسية المغربية التي ساعدت على استعمار البلاد ، ولما قبل
الاستغاليون بحضور هذه الفئات قبلوا في نفس الوقت التنازل لهم على ضمانات ومقاسمهم السلطة (صوريا) والمصالح
بصفة عامة وهذه أكبر خدمة أدائها الاستغاليون للمستعمر ومن ثم للقصر ثم جاءت الحلقة الثانية في مؤامرة أعداء
الشعب نظمها الاستعمار وقام بتحقيقها القصر والقطاع وبنائها السياسيون وهي مسرحية مجلس التاج ضمت ممثلين
للاقطعية هما المختار السوسي الذي انصف بانتمائه للاقطعية وانتماءه للحركة الوطنية منذ بدايتها والحسن
اليوسي ممثل اقطاعية الأتلس المتوسط وممثل الاقطعية الكبيرة التي انصفت بكل الصفات التي رأيناها في مختلف مراحل
التاريخ المغربي ، ثم مولاي العربي العلوي الذي زيادة عن كونه علوي فهو من علماء المغرب الذي كان من المفروض
فيه أن يمثل المفكرين الرجعيين بالبلاد ، إلا أن هذا الحكم كان خاطئا في أساسه لأن هذا الرجل قضى حياته في
التجارب مع الشعب وترفع عن الاستفادة من الامتيازات ، وهذا هو السبيل الذي جعله ينسحب من المجلس ويبطل
لعبة الاستعمار والقصر عندما ظهر له انحراي القصر وخيانتهم لمصالح الشعب ، لقد قصدت لعبة مجلس التاج لعنة
الملكية بالمغرب في عهد الاستقلال صبغة الدستورية ، إذ أن هذه العملية نتجوابا إلى حد ما مع مطالب الشعب في
النظام الدستوري بدعوى أن السلطان خاضع للسلطة الدينية والدينية لهذا المجلس ، إذ أنه كان مقيدا باستشارته
وقد كان المجلس يتركب من ممثلي الفئات الشعبية ، وفي الواقع ~~كان المجلس~~ ^{فانه كان يصح} المتطفلين على مصالح الشعب وأعدائه
ولما تفجر هذا المجلس انكسفت لعبة الاستعمار والقصر ، إذ أن عملية النظام الملكي الدستوري لم يكن هدفها هو القصر
فقد ماثل هذا الأخير في وضع أسس النظام البرلماني وقاوم كل محاولات الاستغاليين في هذا الشأن .

ومن مآسب الاستعمار في مؤامرة "أكسليان" بنود الاتفاقية الخاصة بالجيش والداخلية وسياسة الاقتصاد المغربي
إذ أن الاستعمار حصل على بقا قوائمه وأطره في الداخلية والادارات الأخرى لينتج من السهر على بناء التنظيمات
التنفيذية حسب مصالحه ووسط المغرب باقتصاده واستراتيجيته السياسية والعسكرية ، فكن ^{للصالح} السيطرة
على الجهاز التنفيذي الذي يسهو على مصالح ^{السلطان} والاستعمار وحلفائهما ، ومكنه كذلك من المحافظة على السلطة المطلقة .
كان هذا دور القصر وحلفاءه الاستعمار والقطاع في اغتصاب ثورة الشعب فما هو دور البرجوازية في هذه
العملية ؟ قبل الإجابة على هذا السؤال يجب أن نذكر بعض الحوادث التي تبين لنا تطور العلاقة بين
القصر وبين السياسيين من هذه البرجوازية قبل أزمة ١٩٥٣ لنتمكن من ادراك موقفها في "أكسليان" . رأينا أن
السلطان محمد بن يوسف أخذ يتقرب إلى الوطنيين في الثلاثينيات وتطور هذا التقارب إلى أن أدى في ديسمبر
١٩٤٣ إلى أداييمين سريريا بين السلطان وزعماء الحزب من أجل الاستقلال والدستور ، كما أن خطاب طنجة
المشهور في عام ١٩٤٧ قد تم باتفاق مع حزب الاستقلال ، والوثيقة التي قدمها السلطان إلى الحكومة الفرنسية
أثناء زيارته لباريس في سنة ١٩٥٠ كانت قد حررت من طرف حزب الاستقلال ، إن هذه الحقائق تبين نوع التحالف
الذي كان قد عقد بين القصر وبين حزب الاستقلال وهو الذي يفسر حملة الحزب لإعادة ثقة الشعب بالسلطان
واحترامها له ، وتطورت هذه الحملة إلى أن صارت تخلق بين تعلق الشعب بالسلطان وبين تحقيق مطالبها
الاساسية . فتأقت القيادة البرجوازية للحزب بتحالفها مع السلطان واعتمدت عليه كضمانة لتطبيق برامجها
بعد التخلص من الاستعمار والوصول إلى غايتها ، أي السيطرة على السلطة وتعويض الاستعمار في القطاع
الاقتصادي من أجل الاستقلال والدستور ، فلما تعرضت إلى مواجهة مؤامرة الاستعمار في "أكسليان" لم تنرد
في قبول الصيغة التي فرضها الاستعمار أي التفاوض على رجوع السلطان وربط هذا الرجوع بالاستقلال ، خاضعة
لضغطه ومخادعة امام أول صعوبة في المفاوضات خشية ~~عزلة~~ ^{مع هذا الأخير} الاستقلال وقبلت أنصاف الحلول
واثقة من أن السلطان سيخلص للاتفاقية المقبوضة بينه وبينها وأكثر من هذا فقبولها تعويض مشكلة الشعب
بمشكلة السلطان انتظرت البرجوازية بقيادة الحزب أن يعترف لها بهذا الوفاق وأن يرلئ ذلك لأخذها ~~بذلك~~

البرجوازية كحليقة في بنا الدولة الجديدة . ~~ومن الخطير في موقف الحزب هذا أنه كان موقفا جماعيا للقيادة~~
~~تبنائه حتى الجناح الأيسر منها، ويجدر بنا أن نشير إلى الموقف المسرف المنحصر الذي وقفه عبد الرحيم~~
~~بوعبيد بمفرده داخل القيادة الحزبية والمدارس للموقف الجماعي المبالغ بالانغلاق على الاستقلال وليس رجوع~~
~~السلطان، والنفوذ من أجل الاستقلال حتى بدون رجوع السلطان.~~ لقد نصرت قادة حزب الاستقلال هذا النصير
 المتخاذل الذي نسبني أبعاد البرجوازية الحزبية من قيادة البلاد بعد الاستقلال ومنع الشعب من الاستفادة
 من ثورته نتيجة نقد غير خاطي* للوضع واختيار يقيد الثورة ويمنعها من تحقيق إصلاحات نص بوجود البرجوازية
 نفسها. نرجع مرة أخرى إلى كتاب المهدي بن بركة* الاختيار الثوري* الذي يكون إحدى الوثائق القليلة التي
 نشرها أحد المسؤولين على المستوى الوطني. ~~في ذلك الوقت~~ قال المهدي* ويظهر لي أننا غسي
 الماعني قد انزلنا نحو ثلاثة أخطاء* رئيسية سوى تكون قاتلة لا محالة ان لم نندارها في الظروف الراهنة.
الخطأ الأول يرجع إلى سوء تقديرنا لأنصاف الحلول التي كنا مضطرين للاقب بها.
الخطأ الثاني ينطلق بالاطار المخلوق الذي مرت فيه بعض مماركتنا بمحضزل عن مشاركة الجماهير الشعبية.
الخطأ الثالث نشأ عن عدم الوضوح في مواقفنا الايديولوجية وعن عدم تحديدنا لهوية حركتنا.
 فالخطأ الأول الذي تعرض له المهدي أي عدم تقدير أنصاف الحلول ممكن مناقشته ان أن الاستعمار أكثر
 دها* ونجربة من القادة الوطنيين الحديثي العهد في مواجهة مشاكل الدولة كمسؤولين، لكن سوء التقدير هذا
 يصبح خطيرا ويلزم محاسبة المسؤولين عليه عندما ثبت اضافته إلى تقديرات أخرى وإلى الاختيارات الناجمة عنها،
 فحزب الاستقلال قبل ~~بذلك~~ الوفود في المفاوضات وتبنى المفاوضات على أساس رجوع السلطان، ان كان يعتمد
 على التحالف مع هذا السلطان لتحقيق غاياته في الاستقلال وقبليا كذلك لتتألف له فرصة إعادة
 تنظيمه والنزول ~~بمقتضى~~ ^{بمقتضى} الجماعة الحزبية القوية بعد تنظيمها في ميزان المفاوضات والتعامل مع القصر وبسط
 التنظيمات الثورية وتسييرها. قال المهدي: (اننا في الحقيقة لم ندرك معنى المنعرج الذي وصلت اليه
 حركتنا ولم نأخذ له الصدة غسي وقته لأسباب يمكن مناقشة علنا حينها ولكن نتيجتها الملموسة هي
 أننا اعلننا لأنفسنا بأن تلك النسوية السياسية انما كانت توقفا مرحليا في مسيرتنا الثورية وأن مفروغا ضمينا أن
 يستغل هذا التوقف كثرة استجمام للحركة الوطنية تستغلها لا عادة تنظيم نفسها ولمعالجة التدهم الذي
 أصابها واستيعاب القطاعات الثورية الجديدة غير أن هذه المحاولات وان كانت قد أنجزت بنية حسنة إلا أنها لم
 تكن موعودة ضمن اطار استراتيجي شاملة جعلها تقضي إلى نتائج عكسية بل إلى تعفن أجهزة الحركة التحريرية)
 ولم تكن في البداية نادرة المسؤولين الحزبيين موحدة. ألم فترة الاستجمام للحركة الوطنية وإعادة تنظيم
 صفوفها ~~وهذه الجبة التدهم~~، فإذا كان الشباب الحزبي مخلصا لثورة الشعب وموئنا بها فإن أغلبية القيادة الحزبية
 التي تمثل البرجوازية الكبيرة أو مصالحها على الأقل كانت تنظر إلى معالجة هذه الأشياء من زاوية خاصة
 لا صلة لها بأهداف الطبقة الداححة وهم الذين عملوا على تعفن أجهزة الحركة الثورية كما قال المهدي. ان
أن الجناح ~~أن الصالح الثوري~~ في الحزب المنحصر النسوية السياسية توقفا مرحليا في مسيرة الثورة في الوقت الذي لم يكن هذا
 التوقفا مرحليا يخضع لايديولوجية واضحة واستراتيجية محددة فاستفاد الجناح اليميني في قيادة الحزب
 من الوضعية ليسجل لحسابه أكبر ما يمكن من الربح، وأكبره ربح الوقت حتى يتسنى له ~~فرصة~~ ^{فرصة} نصفية الوقت
 الثورية وتنظيماتها. وما ساعد الجناح اليميني للحزب في تحقيق أغراضه (أي اخضاع الحزب لعمليات
 انس لبيان ونفائجهما) ما تعرض له المهدي كخطأ ثالث نشأ عن ~~الوضوح~~ ^{الغموض} في مواقفنا الايديولوجية وعن عدم
 تحديدنا لهوية حركتنا. كان المهدي يتكلم في ذلك الحين الحالة بعد الاستقلال لكن هذه الفترة ~~تنطبق~~ ^{تنطبق} حريا
 على الجناح الثوري والدرجة الأولى على قيادة الجناح داخل حزب الاستقلال قبل عملية انس لبيان وبعد
 وفهم هذا أكثر اذا تعمقنا في الفقرة التي قال فيها المهدي: (ان البعض كان في أغلب الأحيان ينظر إلى
 هذه الانحرافات الجديدة في صفوف الحركة الوطنية مجرد نظرية عديدة ولم يكن يعتبر تلك الجماعة سوى

أنظر
النص

وسيلظل غافلا على المستعمرين بينما كانت هذه الجماهير تشكل بحكم تركيبها النحالي بين الحمال والبلاحسين المطرودين من الأرض والنازحين الى مدن القصدير. وبقي قسم منهم في قيادة الحركة الوطنية فيبر ولحين للمعنى العميق لهذا التحول الكثيف، ولما كان ينبغي أن ينج عنه من تحول في الأهداف وأساليب النضال. ومن هنا ندرك الأسباب الحقيقية لتشير من المنظور في الحركة الوطنية).

يصعب القول بأن القيادة اليمنية للحزب كانت النخيرات التي طرأت على التكوين الطبقي للحزب.

~~بل أنها استعملتها قوة في الميدان السياسي ومنعتها من التعبير في طريق الثورة. ثم المساهمة في تشكيل~~

~~قوى الثورة مما يدل على أن البرجوازية الاستقلالية قد أدركت معنى ذلك التحول في هيكل الحزب، أما الجناح~~

~~التقدمي فإن كان قد وعى هذه النخيرات فإنه لم يستغل نتائجها~~ جمع أيديولوجيتها ولم ينطلق من اختيارها في مواقف، والا

لما سمح بالتأخيرات والمواقف ووقف وجهها ويدل على هذا طريقته في محاولة الحصول على الحلول إذ كان

يعتمد على ~~البرجوازية~~ لخل قيادة حزب الاستقلال رغم بقاء الفوارق التي طرأت على المصالح وعلى القول

المكونة للحزب وأن احتلت مشكلة الشعب من خلال حزب الاستقلال في المعركة فلا الحزب كان يضم كل

تأخرات الشعب في ذلك الوقت. قال المهدي في الأخطا الثلاثة: (الطائر المفلق الذي مرت فيه

بعض معاركنا بمعزل عن مشاركة الجماهير الشعبية) وقال: (هل شرحنا مغزى حمل الأسليبان بعد أن ظهرت

سياسة الخصم جلية...؟ كلا. لم يقع شيء من ذلك بل أخذنا على حسابنا تلك الانفاقية بما لها وما عليها

ونقدنا بها كمبرون من اندحار الاستعمار الفرنسي). لم يقع التوضيح لا قبل أسليبان ولا بعدها وأخطر من

هذا أن التقدميين ساهموا في لعبة البرجوازية وقبلوا حل المشاكل في إطار مطلق وساهموا في تخطيط الشعب

عندما قدموا له محصول المواقف وأدأنها مكسب وطني، ويزيد هذا في قبول أنصاف الحلول وتبنيها مما يدل على

تأخر الحزب على الشعب حتى قبل الاستقلال. طبعاً أن طريقة التقدميين هاته كانت ناجمة عن حسن نيتهم بالحزب

وتعلقهم بتنظيمه الشبيبي الذي يدل مرة أخرى على أن التقدميين لم يدركوا النخيرات الحقيقية التي طرأت على

الحزب أدنا عميقاً إذ أن هذه الثقة والنية الحسنة في الحزب فظهر لنا مرة أخرى أن القيادة الثورية داخل الحزب

لها اختلاف الكلي لمصالح الجماهير ومصالح الطبقة البرجوازية المسيطرة على قيادة التنظيم السياسي لهذه

الجماهير وإلى اختلاف الطبقات من الناحية الأيديولوجية. فبقيت هذه القيادة اليسارية بعيدة عن كل سند شبيبي

جماهيري فعال، إذ أن الجماهير كانت تجهل واقع المصالح السياسية، كما قال المهدي: (وهكذا في المصالح

التي دارت داخل اللجنة التنفيذية أو اللجنة السياسية لحزب الاستقلال اصطدامت عنيفة لو أعلن عنها في

أبانها لوغرت علينا كثيراً من الوقت وخيبة الأمل والمزيد في النضال). وبالتالي فإنها لم تستمر في تعبئة

قوتها للمحاربة على نتائج ثورتها فتصرف الناطقون الفعليون باسمها بمعزل عنها وعن تأشيرها. يظهر

لنا كل هذا موقف القيادة البرجوازية في أسليبان إذ أن هذه القيادة كانت قد اخذت الطريقة الرأسمالية

لنظام الدولة واقتصادها مما سمح فيها بعد بالملكية الدستورية وينضج لنا هذا الاختيار في التطور الذي سار

عليه في حزب الاستقلال في السنين الأولى للاستقلال.

يتمثل الأمر في اعتبار حزب الاستقلال منذ تأسيسه حتى ظهور الصراع داخله والذي أدى إلى تفجيره

وكأنه قوة متناسقة تربطها مصالح موحدة خاصة في انتقاد موقف هذا الحزب بالنسبة لساكنين، في الوقت الذي

يعلم الكل أن حزب الاستقلال منذ تأسيسه هم طبقات متناقضة في الانتماء والمصالح والأهداف لم يجمع بينها

الأهداف النخلص من الاستعمار. لذلك فبطلح النظر عن مقاومة الاستعمار والنخلص منه فإن كل نصر شعبي حصل

عليه هذا الحزب يجب تفسيره كنصر لجماهيره الداحية ولجناحه التقدمي، وكل انتفاضة شعبية يتسبب فيها

الحزب فتصير كمسبب تحصل عليه البرجوازية عن طريق تمثيلها في الحزب، أو على الأقل هي المنسوبة في حدوده.

لم يذهب للشعب أن يقول نعمته في "أنس ليبان" ^٣ حقيقته معبره لأنه كان يعيد عن كل ما يدور حوله ويجهل كل شيء منها. وقد عجب بحجة ثقته واعتماده على حزب الاستقلال. وكانت هذه الثقة وهذا الاعتماد هما السببان اللذان مكنا حزب الاستقلال من أن يحرك هذه الجماهير حسب أهوائه ويحكمي لها ما يريد. وأما التنظيم الثوري - منظمة المقاومة وجيش التحرير الشعبي - فرغم تكوينها وتنظيمها خارج الحزب وبقيتها بعيدة عن قيادته السياسية فإنها لم تتمكن من فرض وجهة نظرها عليه وعلى القصر والقوات الأخرى ولم تساهم في اتخاذ الحلول في "أنس ليبان" أو بعدها ولم تتمكن من التأثير عليها لأنها ينقصها التنظيم السياسي ^١ ~~الضروري عن التنظيمات~~ ^٢ ~~والسهر على انعام مكنتها الثورة والمحافظة على تنظيماتها والنصر حسب أيديولوجيتها~~، كان هذا النقص في التنظيم الثوري والفراغ السياسي لقوت الثورة خطيرا أدى إلى تفكيك التنظيمات الثورية واقتصاب الثورة. ^٣ ~~تكتسي شكل~~ "أنس ليبان" بالنسبة للشعب قيمة لا تقل عن ميثاق الجزيرة واتفاقية الحماية لمدة أسباب، ولهذا وجب علينا فهمها بوضوح، فبمقدار ما وقع النساء في حق الاستعمار، هل هو مكسب أم نكسة؟ هل استفاد منه المغرب أم لا؟ وجب النساء أن عن عملية "أنس ليبان" هل كانت مكسبا أم نكسة؟ وبالنسبة لمن؟ لقد فرغت عملية "أنس ليبان" على المذهب الاستعماري الجديد كما فرغت عليه في الماضي عقد الحماية والاستعمار. ^٤ ~~الذي يشبه يتم لتوضيح هذه من النقاط~~ ففي الداخل تحركت البرجوازية وأصبحت تهدف أكثر من الماضي إلى تقاسم السلطة مع السلطان عن طريق الملكية الدستورية. والاقتطاعية التي خفقت مع الاستعمار في قمع الثورة الشعبية أصبحت تهدف إلى ابعاد الخطر بحالها مع السلطان من جديد، والخطر هذه المرة يأتيها من الشعب وليس من الخارج وهناك أيضا تحرك الفئات الشعبية التي ضاقت في كمينها وكبتها ما كان عليه الحال قبل الحماية نظرا لظهورها ^٥ ~~التي أصبحت في~~ القوة الكبيرة في الميدان، وهناك أيضا مصالح الأجانب. إن أن الرأسمال الفرنسي قبل نظام الاستعمار الجديد وتبنائه كما أن مصالح الامبريالية العالمية لنفس الأسباب التي كانت في مطلع القرن - أصبحت كبيرة وهمة فالولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها ^٦ ~~فيها~~ الأوروبيون عازمون على ضم المغرب، تبادلت إفريقيا ومن دول البحر الأبيض المتوسط إلى رقعة نفوذهم. والولايات المتحدة الأميركية اخذت المغرب لتجعل منه قاعدة لشبكاتها مخابراتية. تنطلق منه إلى أفريقيا. كل هذه العناصر جعلت موقف السلطان في عام ١٩٥٥ يشابه موقف سلطنة قبل الحماية. وما زاد في خطورة موقف السلطان هو الصيغة الشعبية التي عرفتها الثورة في هذه المرة وثورة الشعب الشقيق بالجزائر التي تزيد في تعزيز قوى الشعب بالمغرب. فكان عرش العلويين مهدد مرة أخرى سيما وأن برعهم سلطان الاستعمار هو أيضا من عائلة العلويين. إن هذا التحليل البسيط يساعدنا على فهم أكثر الأسباب التي دفعت بمحمد بن يوسف أن يقبل بالرجوع إلى العرش ويقبلنا "الدولة كما وضع الاستعمار أسسها في "أنس ليبان" و"سان كلو" ويبنى مبدأ الاستعمار لفولة المغرب المستقل ويسنم كل الوسائل ولا يدخر جهدا في بنا هذه الدولة التي يجدر بنا أن نبحث في تركيبها وفلسفتها لنذكر من المستفيد ومن الخاسر من استقلال المغرب. بعد مفاوضات "أنس ليبان" في أبريل ١٩٥٥ نصبت فرنسا مجلسا أطلق عليه اسم مجلس الناج في أكتوبر ١٩٥٥ وكلفته بمهمة تأسيس حكومة مؤقتة للمغرب وكان قصد فرنسا تنصيب العناصر الموالية لها بهذه الحكومة ليتسنى لها تطبيق مخططاتها الاستعمارية بالمغرب إذ أنها لم تكن واثقة من تعامل محمد بن يوسف معها كما تريده، فاختار الفاطمي بن سليمان لتأسيس الحكومة وهو كما رأينا من البرجوازية البيروقراطية المعاطفة على فرنسا، وفشلت هذه اللبسة لأن حزب الاستقلال رفض مبدأ تأسيس الحكومة قبل رجوع محمد بن يوسف، ذلك لأنه كان يطمح في الانفراد بمناصبها عند رجوع السلطان. وعاد محمد بن يوسف في ١٦ نوفمبر إلى المغرب بعد أن وقع وثيقة "لسيل سان كلو" وكان رجوعه انصارا كبيرا للقصر ولعرش العلويين، بفضل ومرة الاستعمار وسير حزب الاستقلال في هذه المؤامرة. ^٧ ~~وبعد الشعب من السلطان بشلا وضيا حاشيا في تقديره وصحوظا في غلبه من طرف~~ القيادة السياسية للوطنية. ^٨ ~~حقا ان الجماهير الشعبية بشورتها قد أعادت للبلاد سيادتها، وتخلص المواطن المغربي~~

الغاية هي شيئي ثان ، ان نسوة هذا الجيش كونه من غيا على الجيش الفرنسي وجنوده المرتزقة الذين ساءوا في أهم الحروب الاستعمارية الفرنسية وقمع المتمرعات منذ تأسيسها ، نسواق هو " لا " العسكريين نجعلهم مدنيين للسلطان يادماجهم في المجتمع وبالتالي مخلصين له وجنودهم مرتبط بوجوده وهكذا ضمن السلطان والاستعمار لأنفسهم أداة تنفيذ قوية ومظلة وغير قابلين للنفاط مع أية قوة أخرى ، ثم تكون هذا الجيش في الوقت الذي كان فيه النفوذ متقسما بين السلطان وحزب الاستقلال وكانت الاقلية تنصرف بحذر وتجنب المواقف الرسمية لتكون موقفها المعادي للشعب والمعامل مع الاستعمار كان حديث الصند لم ينس بحد . فتكوين الجيش كان كغصان يرجع اليه القصر في حاله وعض حزب الاستقلال الخضوع لأوامره ومحاولة استعماله قوائمه الجماهيرية ليحد من ديكتاتورية القصر ، وما زاد في خطورة هذه الوضعية في ميزان القوى كون منظمة المقاومة وجيش التحرير لم تكن قد وضعت نفسها في أحد الجانبين ، ولم تكن قد خضعت لأية سلطة أو تنظيم سياسي ولم يكن هناك الا تقارب بينهما وبين حزب الاستقلال فبقيت بذلك تمثل القوى الجماهيرية بطبيعة تكوينها ونوع نشاطها واختلاصها لأهداف الشعب وحريصة على منجزات الثورة فكانت بذلك قوة بالمكانة أن تتعامل مع الحزب وتقف مدافعة على مصالح الجماهير الشعبية في كل حال وهكذا أسست القوات الملكية بسوسة لتقف نسي وجهها . وتمكنت الجماهير الشعبية من المحافظة على قوتها المستر في منظمة الغدائين وجيش التحرير ذلك أنها لم تنفع في لعبة الاستعمار مثل ما وقع " للسلطة " ولم تسلح سلاحها ونحل نفسها كما أصر على ذلك الاستعمار الفرنسي الذي نخلي عن مؤامره أطم عمود القوات المسلحة الشعبية فلا تفلت بكيانها وكونت بذلك خطرا كبيرا على القصر وحلفائه الداعمين بفد الاستقلال . ونحالف القوى الرجعية وضمنها العناصر البرجوازية في حزب الاستقلال غد هذه القوى الرجعية كما قال المهدي بن بركة في كتابه (. . .) انزلا في بعض القادة في طريق المساومات الانهازية ، بل ومساهمتها في الموارات الخمسة غد جيش التحرير والمقاومة والنقابات العمالية (. . .) وهكذا نرى أن ك القوى الرجعية والانهازية قد نحالت في هذه الحملة غد الشعب رغم اختلافها في قضايا أخرى وتلخ هذه الموار في حل قوت جيش التحرير وفي ادماج هتاعره في الجيش الملكي حيث وضعت قوانين تمنع أطس جيش التحرير من الحصول على رتب كبيرة ومسؤوليات مهمة بالجيش الملكي واقص عدد كبير من قوت جيش التحرير الى القوات الملكية ورفض بعضهم النخلي عن تنظيمهم فأهزلهم لهم أن ينجحوا الى الجنوب لتحرير الاراضي المغربية من يد الاسبان ، وذلك لابطاد خطوهم عن العاصمة ، فتم بذلك عمليا انها " جيش التحرير أو ذات أدوره في قوت الجيش الملكي وحقت لهم مطالبهم المادية بل أكثر من مطالبهم ، نجح القصر ومعه كسل المنفلطين على الثورة وأعدائهم في جعل حشد لسجود الجيش الشعبي . ويظهر بكل وضوح على من نعود الاغادة من هذه الحملة ، وكانت هذه الانتكاسة الشعبية ممكنة لأن القوات الشعبية المسلحة رغم المحافظة على استقلالها لم تفكس من فرض وجودها السياسي والسهر على انجاز الاعلاحات الشوطونية ذات الأبعاد الشعبية ، ذلك أنها كانت حركة فسيحة لم تبلغ تاورا كافي في المعركة فبقيت بدون تنظيم سياسي يوضح آفاق عملياتها وتبين للشعب ومنظماته المسلحة أبعاد ثورته وموقفه بين القوات الانهازية والاحذارية الولائية منها والأجنبية ، ففكس هذا الفراغ في التنظيم الثوري المتكسرين على الشعب من حسل جيش التحرير الشعبي وأن يحرم الشعب حماة ثورته ، واستمر القصر وحلفاؤه (حلفاؤه في هذه الموار) أمرك الرجعيون في حزب الاستقلال) غسي مؤامره على المنظمات الشعبية التي تكونت وسط عاصفة الثورة فأنسى دور منظمة المقاومة والاتحاد المغربي للشغل . وحيكت لهم الموار في الأوساط المعادية للشعب ومنها حزب الاستقلال ، تمكن أعداء الشعب من تفسرسة صفوف المقاومة وخلق النزاع بينها وعرفت قوت الغدائين مرحلة خطيرة ذهب ضحيتها عناصر من أشد العناصر صلابة في عمليات النضحية وخاصة بالدار البيضاء فشوهت هذه الحملة منظمات الغدائين وجعلت الشعب يفقد ثقته بها ، كما شدت قوت الغدائين بجعله من ذوي الايمان الضعيف انهازيين وعناصر النفرة والخراب اخل المنظمة وتمكن من جعل حركة الغدائين بين منظمة قابله له

وأساب هذه الانتفاضة الثانية لا تختلف بكثير من التي تسببت في القضاء على جيش النخبة . أما مولدة القصر والرجعية ضد منظمة العمال فلم تنجح لأن المنظمة النقابية عكس المنظمين الشعبين الآخرين لأنها ذات قائمة حول حركة عقائدية تجعل من تنظيمها الجماهيري تنظيماً مبنياً ومتماسكاً يعمد في وجه النيارك المعاكسة لعماله بفضل وهيئة لجهتها وسياسيا لذلك تغلب الاتحاد المخبري للشغل على موامرات أعدائه فنجباً من سيطرة البرجوازية الحزبية المصلية في شخص رئيس الاتحاد الأول الحبيب ابن بوعزة كما حال دون جعل حركته منظمة نابعة للقصر إذ أن السلطان بن يوسف بنيسه حركة العمال ضد التي فرض أبوينه عليها وبالتالي جعلها تدور في فلكه فنقد كل صفاتها النضالية والأيديولوجية وتخلص الاتحاد تدريجياً من رئيسه الرجعي وقام القصر بخطوة أخرى لتفتت القوى التي أضافت بنظام الاستعمار تأسيس الحركة الشعبية في غشت ١٩٥٦ وقصد بها إهداماً متعمداً منها خلق قوى تواجه قوة حزب الاستقلال في الميدان السياسي تبعده من المناطق البدوية التي تقطنها قبائل البربر فلمعند في ذلك على تجربة الاستعمار وتاريخ الاقطاع قبل الحماية أي بالتعامل مع رؤساء القبائل الذين يحصلون مقابل ذلك على امتيازات اقتصادية وإدارية مع العمل على الإصلاح شيئاً ما من حالة الفلاح فيكسب القصر بذلك قوة كبيرة في المجتمع المخبري يعتمد عليها في قمع أي حركة تهدد كيانه ومصلحته ويستعملها كعنصر ضغط على البرجوازية لتحقيق مراميها ، نكش عملية تكوين الحركة الشعبية أن القصر لم يكن قابلاً للذلل مع القوى الشعبية التي أضحت بالنظام الاستعماري وأعادت الاستقلال للبلاد والمعرش العلوي شرعية وشعبية دون عيب محمد بن يوسف سلطاناً وطنياً ذلك أنه أراد أن يعيد تنظيم السلطة على شكله القديم أي الاعتماد على الاقطاع لتثبيت سلطة القصر بالبلاد فخان وارنكب أخيراً غلاماً يمثله ارتدابه في علاقته مع الشعب ونسبني خطة الاستعمار فلمعند على البنين الرجعي بالمجتمع وجعل منه خليفة عوياً أن يعتمد على قوة المستقبل وأنحال الشعبها ، أي قوة الجماهير الشعبية التي كانت في ذلك الوقت قابلاً لخوض معركة البناء بقيادة السلطان والتي أصبحت تمثل أكبر قوة فعالة في البلاد فجعلت من المدن والقوى مراكز وهي لاجتماعي وسياسي وبيروثوري فزفر الأطر الرجعية التي زيادة عن كونها نحالاً مع المستعمرون النيار التحرري الوطني فانها تكون القوى المعارضة لتقدم البادية وتعارض مصالح الفلاح الصغير والعمال البدوي وهكذا صارت مقابله النحال أو عدم التحالف بعد الاستقلال تعتمد على أسس اقتصادية واجتماعية هي الأسس الحضرية والقبلية التي استعملها الاستعماريون وفشل ، أطمع عموم المعارضة لسياسة التفرقة شجوراً منهم بوجود هذه الوحدة للمحافظة على وجودهم ، أما سبب الفشل هذا فيرجع الى وهي الجماهير الشعبية بمصالحها الاقتصادية وأرادتها تحديدهم أغر الاقطاع التي تحول دونها ودون دورها ود الفلاحية الذابحين والمجرومين بطبيعتها مصالحها ضد كل مظاهر الاقطاع والاستغلال بقطع النظر عن الانتماء القبلي أو العنصري أو العرقي ، وأطمع هذه المؤامرات التي صارت تضم كل المنظمات الشعبية وبشكل لم يجد خفياً على أحد بدأت أطر الحزب المتوسط والنقدية في حزب الاستقلال تقاوم هذا النيار الرجعي الذي يريد توقيف الثورة والانفراد بمحصلاتها ونعتت بفشل الأثر المتوسط والنقدية للحزب تأسيس مجلس جديد لحزب الاستقلال سعي بالمنصب السياسي وهذا المجلس فتح المجال لأول مرة الى ممثلي الجماهير الشعبية لمواجهة القيادة البرجوازية في مؤسسة حزبية على مستوى وطني وللاطلاع على تلاعب هذه البرجوازية بمصالح الشعب وخيانتها للثورة ، ولنا يمكن أن يجد هذا المجلس بمثابة انفعال القوى النقدية عن القوى الرجعية لحزب الاستقلال وظهرت بوضوح الفوارق في المصالح وفي المقام والأيديولوجية التي تميز قلادة الحزب الجماهيري برئاسة التقدميين ، وممثلي البرجوازية المخربة ، فكانت مواقف الحزب تقدر في هذا المجلس لا في اللجنة التنفيذية وغرض على الحزب المواقف الإصلاحية التي حققها عن طريق الحكومة وكون الهيئة الساهرة على تحقيق مطالب الجماهير الشعبية كما كون أداة رقابة تتبع مؤامرات البرجوازية والقصر وتنصير لها وتفصحها وهذا ما أشار اليه المهدى بنبركة في الاختيار الثوري في الممارك التي صارت د لخل اللجنة الثورية والمجلس السياسي للحزب وانزلا وبعض القادة المؤامرات والانهازية التي نشأ عنها اصطدامك عنيفاً .

كان القمر وحلفائه يعتمدون على ربح الوقت لتحقيق برامجهم ومنها تجميد الثورة وقطع الطريق على تحقيق المطالب الشعبية التي تريد اصلاح أسس العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بالبلاد ، وكان أهم مطلب هو إعطاء البلاد نظم الملكية الدستورية ورغم أن هذا المطلب كان متواضعا اذا نحن راعينا النعثة الشعبية الواسعة التي ألتاحت للنظم الاستعمارية والحدود للبلاد استقلالها فجعلت الجماهير الشعبية أكثر الفلك أسقية وأحقية في الاستفاد من منجزات الثورة . ان ظاهرة ربح الوقت في حالة الخضر والمضايقات التي يمارسها النظم كسوت منذ بداية الاستقلال أحد أسس الفكتيكسية التي يستعملها بحكمة وينجح في استعمالها فنجاحا كليا لأن كل الهيئات والمنظمات السياسية والاجتماعية تقع في لعبتها ونسأهم فيها ؛ انها نستلزم منا بعض النصن في أسلوبها (وفي سر نجاحها) لادراكها ومواجهتها . ان أول خطوة يقوم بها النظم هي مخاطبة رئيس الدولة للشعب مباشرة منجورا كسل مؤسسات الدولة والتنظيمات الشعبية ، مستعملا أسلوب المخاطبة المباشرة ، الراديو والتلفزيون ، غوهم الشعب بذلك أن رئيس الدولة " ممثله الفعلي " " شعار وحدته ووطنيته " يرجع اليه في حالة مواجهة البلاد لأحد الأخطار ليخرج معه المشكل بكل وضوح ويطلعهم على ما يجري مستعملا أسلوب (هو " السياسيون هرجوا ما يكفي وجا " دور " الملك والشعب " لمواجهة الوضع . فيخالط الشعب في أحد حقوقه الأساسية أي حق ممارسة السلطة ومراقبة استعمالها ويؤ " كذا هذا الأسلوب ادعا " النظم بأنهم يسعى الى السير بالبلاد في طريق التطور والديمقراطية وأن السياسيين هم الذين يهزقون هذه الصلحي لعدم كفا " نههم وعدم إخلاصهم ونزاهتهم الخ . . وكل خطب رئيس الدولة تحتوي على النقطة التالية أو على أغلبها :

- تبني مصلحة الشعب ونشيت فكرة " الملك مثل الشعب الحقيقي " .
 - مسايرة التيار الشعبي (مسايرة سطحية) .
 - التفتكر لما يضر الشعب فتفكر لا يحسد موقف الحكم بكل وضوح .
 - استفلال الموقف للنهجم على إحدى القوى الشعبية .
 - إعطاء " الحعود الشفوية بصفة فليضة .
 - الهروب الى أحد الميادين التي تشخر رغبت الشعب في الداخل أو في الخارج .
 - المرجوع الى الدين رجوعا ديمافوجيا (في كل الحالات) لنشيت العقلية الرجعية .
- ونتيجة مسايرة التنظيمات السياسية للنظم في لعبته فان عامل التشكك والحيرة يعمل مغفوله في الجماهير الشعبية فتزيد في فضيها ونجمد ارادتها الثورية ونعود الى الانتظار فيستغل الحكم هذه المهلة لاعادة النظر في خطته وتنظيماتمويعيد تكييفها حسب التفسيرات الطارئة في البلاد وخاعة في صفوف الجماهير الشعبية ليعيد لها الى قبضته فيوضع على جماهير الداحين وتنظيماتهم السياسية والانتقابية فرصة الاستفاد من نتائج المشكل وتحقيق بعض المكسبات في الوقت الذي نكون أغلب مبادئ النظم في عطية (ربح الوقت) أقدار (مبدئية) للتضليل نجد أن واحدة منها تكون مادة للاستهلاك الداخلي ذلك النتائج الطموسة لدى الجميع وهي طريقة الهروب الى أحد الميادين الداخلية أو الخارجية التي نتجاول مع رغبت الشعب . ففي الميدان الداخلي يلج النظم باصلاح تشريعية أو تنفيذية لا زال الشعب ينتظر الشروع في تطبيقها منذ بداية الاستقلال وأهيا نا يشرع في تطبيق هذه المشاريع اذا كانت داخلية في مخططة لنشيت سلمته ونعفة طليعة الجماهير الشعبية وبقايا الثورة ، وفي الخارج يتخذ النظم ظاهرة تقديمية ويعمل على نشيت الجانب التقدمي في الدول النامية لنفطية الواقع الداخلي وصرغاهنم الشعبي في الداخل الى الخارج ولنفطيه في حقيقة النظم . أما دور النظم في المجال الخارجي فهو يتعارض من رعاية الشعوب

مؤتمر الدار البيضاء : ضم هذا المؤتمر دولا ذات قيادة تقدمية تجمع حولها تأييد الشعوب الافريقية

وتشخص طموحها بوانتخذ المو* نمر بعض القرارات ذات الطابع التحريري الوطني مثل قرار مبدأ الجلاء* لكن النظام بالمغرب لم يحمل على تطبيق هذا القرار بل عارض القوى الوطنية التي كانت تعمل على تحقيقه وعزل مساعيها. ويمكن اعتبار مو* نمر الدار البيضاء* رغم الصبغة التحريرية الأفريقية التي تصف بها أنه لمبة لقطع الطريق في وجه القوى الأفريقية الثورية ومنع تطبيق رغبات الشعوب الأفريقية تطبيقا ثوريا. وأخيرا تحريرا للشعوب الأفريقية إلى الاتجاه المناسب لصالح الرجعية بالقارة ومصالح أعدائها التقليديين. وأخيرا نؤكد لهذا الواقع هو الجريمة التي ارتكبتها النظام في حق شعب الكونغو كينشاسا حيث ألجأ الفقيه بانريش لومومبا إلى محمد بن يوسف ليمنحه بالجيش ليواجه المو* أمراء الاستعمارية، فقدم الجيش المغربي هدية إلى الاستعمار وساعد القوى الرجعية المنطلقة معه.

الجامعة العربية : يعتبر الشعب بلنما* المغرب إلى الجامعة العربية تأكيداً لاستقلاله وتحقيق خاليته في الانضمام للصوغ العربية لتعزز جانبها في المعركة ضد السيطرة والاستغلال الغربي ولكننا نفقد سر آثار خطاب محمد بن يوسف في طنجة ١٩٤٧ لكن وجود المغرب بهذه المنظمة يحاكس رغبات الشعب مناصرة كلية. ان هذا الوجود يقوى موضعها جانب القوة القطعية والرجعية بهذه المنظمة ملوك وحكام الحرب ويؤثر في قرارات المنظمة لصالح الرجعية العربية والأمبريالية العالمية، ولعل أحسن تأكيد لهذا هو نسوع التأثير الذي قام به المغرب في قضية الجمهورية اليمنية وخاصة في المعركة الأخيرة مع دولة الصهيونية حيث لمنح من المساعدة في المعركة المسلحة وساهم في تنظيم نكتك الدبلوماسية العربية نحو الغرب، في الوقت الذي يتروك للصهيونية لمكانات هائلة بالمغرب تستغلها بكل حرية وتحت حمايته ومسلحته. ان خيائنه لشعب فلسطين كذكره، دخل الجامعة العربية هي في الواقع ضرورة تاريخية لروح القوى الرجعية العربية الأمبريالية نسلحه على البقا* وتقوى لعدة سلطته.

بلسفيرك ودول باندونسخ : وفي الميدان الأفريقي الآسيوي ساهمت الرجعية المغربية في التآمر على الأهداف الوطنية التحريرية لهذه الدول التي تحالفت في مو* نمر باندونسخ وطلح الطرق عليها في المغرب المستقل، منها نصبة القواعد الأجنبية التي وافق عليها النظام في مو* نمر بلخرا ونصرف عكس هذا الالتزام. حلف البحر الأبيض المتوسط : أراد النظام استغلال التقليل المغربية في الدفخ من استقلال البلاد فحاول أن يربط المغرب بحلف عسكري لدول غرب البحر المتوسط وكان هو الداعي الحلي للفكرة. فوسع من أراد الحكم الرجعي هذا التحالف من أجل أية غليسة ؟ ان دول المنطقة هي في الجنوب دول المغرب العربي وفي الشمال اسبانيا وفرنسا وإيطاليا. ان ذكر هذه الدول يكفي لبوضغ فزاة هذا التحالف، أو تحالف المستعمر السابق مع مستعمراته في الوقت الذي يعمل فيه النظام على تحقيق هذه الفكرة ذات حدوده البحرية مرتبة مسع الوجود الاستعماري والفرنسي والاسباني و حدوده البحرية تواجه فرنسا واسبانيا وآفاق التطور السياسي بالمنطقة كان يتجه نحو قيام دولة عربية في الجزائر وموريتانيا. اذا واجعنا كل الحالات نجد أن لا خطو بهمسدد المغرب اذا استثنينا الدول الغربية التي يريد التحالف معها أي اسبانيا وفرنسا، فمن هو ان هذا العدو الخيالي الذي يهدد المغرب؟ ان هذا العدو يوجد بداخل المغرب ولا يهدد المغرب ولا شعب المغرب بل يهدد النظام الرجعي وهذا ما يراه الحكم الرجعي في الشعب ان الفاية الأولى في هذا الحلف هو لوطا* النظام لمكانية عسكرية قوية لاستعمالها ضد الشعب ثم بنا* قوة عسكرية دولية تقم بالدركي نحافظ على امتثال شعوب المنطقة في الناحية الجنوبية وسيرها في ركاب الأمبريالية العالمية ويتعدى هذا الدور

حدود بلدان الحلف ليقيم بنفس الدور على رقعة أكبر أي على مستوى إفريقيا الوسطى و الغربية كلها مثل ما يقوم به حلف جنوب آسيا ، يكفي اسم المشروع ليدرك المرء أن "البنغالون" هو مصدره الأول . ويرجع فشله الى معارضة القوى التقدمية المغربية له والتفكير التي حدثت في السياسة العسكرية الخارجية الفرنسية في عهد الرئيس دغول . وكل عمل أو موقف في الميدان الخارجي ما هو الا استمرار للرجعية والقطعية التي يتخذ مر بها الحكم بالفخرب فيخلق بها مع أعداء الشعوب يلضم قوته ولماذنيه اليها ، وتصفية القوى التقدمية بالبلاد وبالمناطق المجاورة له أو التي لها تأثير رئيسي عليها ، مثل سياسة النظم المعادية لصعرة الشعب الفينامي ، لقد غضح النظم بالخارج مثلما غضح بالداخل وأصبح دوره التقدمي المزيف مكشوفاً لدرجة أنه تخلى عن الدور الثلاثي الذي سار فيه في السنين الأولى للاستقلال . الا أن هذا لا يعصني أنه تخلى عن سياسته هائه بل على العكس فانه يطوره ويطرق أكثر فعالية ، ولندكر مساهمة المستمرة للحلف الاسلامي وتوحيد جهوده وخطته مع الأنظمة الرجعية بالرقعة العربية وبعض الدول الافريقية والآسيوية .

اتبع القصر خطة في بناء الدولة . تختلف تماماً مع دولة الملكية الدستورية واعتمد القصر على القوى الاقتصادية القديمة أي نظام الاقطاع وحافظ على كل السلطات ولم يقبل مقاسمتها مع الأثر الفنية والمثيرة في أي طبقة شعبية لذلك يكن مهيئاً لا بمفاهيمه ولا بكفائته أن يخوض تجربة الحكم الديمقراطي الذي هو أحد المطالب الرئيسية للشعب ، فكون القصر في نوفمبر ١٩٥٦ مجلساً تأسيساً معيناً وصاحبه بميثاق سمه بميثاق الدستور^{علي} ١٧ مادة وأحييت هذه العملية بضجيج يريد اقناع الشعب بأن القصر يسعى لنهضة الأثر المغربية لبناء النظم البرلماني بالمغرب وأن ارادة القصر و ارادة الشعب في بناء الدولة الحصرية وتوفر شروط التطور للبلاد هي واحدة ، الا أن الشعب لم يعد يخدع بمثل هذه الادعاءات ولم يعد يتبنى الحلول الناقصة أو التي تشير بغموضها شكوكه فالعود لم يعد لها مفعول لأنه منذ الاستقلال وهو يعيش الانداسة نلسو الأخرى ومنها تصفية منظماته الثورية وهو واقف فوق الحذر من القصر والمنظمات السياسية ولم يعد وفائه وارتباطه بهم كما فيا للحصول منه على تزكية المؤامرات التي تحاك غده لذا مرت عملية المجلس التأسيسي بدون رد فعل شعبي ، لا حماس لا معارضة ، كما أن سيموقته السلبي في هذه العملية يرجع الى العقيدة التي صيغت بها والى محتواها نفسه فأسلوب (رعايانا الأوفياء) و (أنعمنا عليكم) هو هسو . وأفراد المجلس معينون لا منتخبون وميثاق السبعة عشر نقطة لا يضمن ولا إشارة واحدة الى اشراك الشعب في الحكم ومراقبته بل ان الميثاق يريد للبلاد حكماً ملكياً شبه دستوري لكنه في الواقع حكم مطلق انه أن طريقة التعيين هي المبدأ في هذا النظم البرلماني الضريب وان البرلمان ليس له يسوى حتى النقطة وان السلطان هسو المقرر وهو السلطة العليا ولا يريد مقاسمتها مع أية هيئة أخرى لا يقبل أية رقابة على السلطة التي يمارسها كما أن المجلس التأسيسي يراد منه تكوين العقيدة البرلمانية بالبلاد ، وكان السلطان يريد انشاء مدرسة برلمانية يكون فيها البرلمانيون الذين يريد لهم لنظامه ، كما أن السلطان لم يسمح للمجلس بأي سلطة ولم يتعرض في ميثاقه الى عملية نهيبية الأسس للنظام البرلماني وكان يعارض كل محاولة من طرف المنظمات السياسية التي أرادت الشروع في تنظيم المومسات الديمقراطية على المستوى المحلي والشروع في التنظيم الاداري القانوني لنهيبية النظم الدستوري مثلما قاله المهدي في كتابه : (ان هذه الاصلاحات لم تكن لتفكير من جوهس السيلو الاسنمارية في الميدان الاقتصادي الا أنه من الواجب أن نوكد هنا أن هذه الاصلاحات على شكلها لم تر النور الا بعد معارك مريرة لم يسمع الشعب عنها شيئاً .

(ومثل ذلك حصل عندما عرضت مسألة اختيار أسلوب الاقتراع في انتخابات المجالس المحلية البلدية والقروية فقد اصطدمنا مع القصر لكي يكون الاقتراع باللائحة فهو الأسلوب الوحيد الذي يضمن من طريقة قيام مجالس بلدية تكون أداة للبناء الاقتصادي والاجتماعي، لكن القصر التجأ الى استشارة علماء من الخارج ليقتوا له بصلاحيته الاقتراع الفردي أو ما شابهه حسب رؤيته . وطالبنا بالرجوع الى استشارة المنظمات السياسية فطلب القصر رأيها وهو أنه لم يدخل في إقرارها من لا يحفظها الكيان القومي سوى الاسم . وكانت النتيجة أن خصصت منظمة ذلك على رأيها عند ثلاث منظمات اثنتين منها كانتا ضد مبدأ الانتخاب في أساسه ، وكذلك لم يمنح القصر من فرض الاقتراع الفردي الذي نتج عنه بحث العناصر الاقطاعية والرجعية) .

لكن وجود عناصر المنظمات الجماهيرية داخل هذا المجلس من الاتحاد المنبري للشغل والعناصر التقدمية من حزب الاستقلال ووزراء تقدميين مثل عبد الرحيم بوعبيد جعلت لعبة القصر تنقلب ضده وكونت من المجلس أداة معارضة لأغراض القصر ، كما عملت القوى التقدمية داخل هذا المجلس على إرغام الحكومة تطبيق سياسة لتجسب ووفاء للشعب ، غفسي السياسة الخارجية فسرحت عدم التعمية والتضامن مع النظم المناهضة للاستعمار وخاصة في البلاد العربية لاستكمال التحرير الوطني كما فرضت في الداخل بعض الإصلاحات منها توزيع الأراضي على عفاة الفلاحين وجعل مشكلة الجلاء مطروحة بعدة واحد والمطالب الأساسية للشعب وأدرك القصر الدور الخطير الذي يمكن لهذا الجناح في حزب الاستقلال أن يلعبه ذالنجأ الى سياسة سبقه الاستعمار في تطبيقها وهي خلق المشاكل المزيفة لاستغلال الظروف التي تفتج عنها ، فدير ثورة عدى وبه عن طريق الجيش الملكي ومساعدة الفرنسيين ، وهدفت هذه العملية فيما هدفت اليه الى تعمية الحزبي قبائل الأطلس المتوسط وفي الجنوب الشرقي للبلاد ، فاهلات كما هدف القصر الاستفادة من الوضع الناتج عن هذه المواجهة ليسترجع مكانه بالبلاد وابعاد نفوذ الحزبي الميدان السياسي والضغط على العناصر التقدمية للخضوع أمام إرادته وليلهم الشعب أن القصر هو الضمانة الوحيدة والفعالية لوحده وقد نجح في اضماع الحزب ذلك أن العناصر المهيمنة منه تخذلت أمام القصر وفضلت الصراط معه فزادت من ابعاد جنلي الحزب عن بعضها وأضعفت من تماسكها ووقوفها الموحد نحو الخارج أي خاريج مجالسها العليا .

ولم ينجح القصر في اضماع الجناح التقدمي في الحزب وضعه الى سياسته لأن هذا الجناح الذي فرض نفسه داخل الحزب بمواصلة المكتب السياسي والذي اعتد على القوت الشعبية وكذلك طريقته نظرياً وعملياً نحو ليدولوجية الطبقة الكادحة ، كان يولجه هو القصر ، وتخاذل المهيمنة بين في حزب الاستقلال بمطالبة شعبية وحسب عن رأي الجماهير ويعتمد عليها في تحقيق المطالب المذكورة .

ولم يوقف الجناح التقدمي في الحزب السياسي اصطدام مع القصر في ماي ١٩٥٢ في شأن السلطة على الجيش والد لسلطة ، ونسب ذلك ألياً في انحصاره من المجلس السياسي للحزب عنصراً كون هذا الحزب بالحكومة الجديدة برئاسة بلافريج وتخلي عن المطالب الأساسية لجماهيره ومنها السلطة على الجمهور . ووزارة الداخلية وراحوا يعلنون عن موا قفهم أمام المناهضين وفي المناسبات مثلها فصله محمد البصري في ٢٠ فشت ١٩٥٢ عندما أعلن قلس

حركة المقاومة وجيش التحرير أمام الانزلاق نحو الاستعمار الجديد بسبب الحيل الحكومية الفرنسية على فرض اتفاقية الاستيطان التي تضمن استمرار الامتيازات الفرنسية ثم التصريح في نفس الذكرى سنة ١٩٦٠ عن الانحراف الذي اتبعته الدولة ويمكن أن نعتبر أن هذه الفوارق التي أخذت تبعد بين التقدميين الحزبيين من جهة وباقي قوك الاستغلال والانتهاز من برجوازيين حزبيين وقصريين ثم القصر نفسه الخ ..

من نتائج الدور الفعّال الذي قامت به القوى التقدمية داخل المكتب السياسي للحزب وتجهيز هذه القوى عن مطالب الجماهير الشعبية ووجود قيادة داخل الحزب وعلى المستوى الوطني تمثل الجماهير الشعبية وتطرح مطالبها بشدة وتعرض لكل سياسة لا تحترم هذه المطالب، جعلت قيادة الجماهير الشعبية تغلت من يد القصر والبرجوازية، وجعلت هذه الجماهير تفرغ من تحقيق بعض المطالب التي عملت من أجلها في ثورتها ١٩٥٣، ومنها معاداة أملاك الخونة إذ قبل القصر القائمة التي وضعها التقدميون في الحزب، ونم اجتماع طنجة لمناقشة وحدة المغرب العربي كما تمت اصلاحات ادارية في شأن المجالس الحضرية والقروية، وتمكنت القوى التقدمية من فرض هذه الاصلاحات خاصة وأن الجماهير الشعبية أخذت تنهي خيانة القيادة الحزبية البرجوازية واستغلال القصر ثورة الشعب لصالحه فتخلت الجماهير عن القصر وعن القيادة الحزبية الخائنة كما أن حوادث العالم العربي زادت في الوعي الثوري للشعب فتشور مصر تنضج باستمرار خاصة بعد العدوان الثلاثي وتناميم قناة السويس، وثورة العراق وجدت صدى كبيراً لدى الجماهير الشعبية وما تعجّل محمد بن يوسف الاعتراض بظلم عبد الكريم قاسم وزيادته العراق بمجرد حدوث الثورة الا محاولة للحد من تداعيات ثورة العراق على الشعب المغربي، وأخذت

الجماهير تراقب منجزات ثورات الشعوب الشقيقة وأهمها ثورة الشعب الجزائري التي أعطت مثالا رائعا في الثورة التحريرية وذلك بمواجهتها أعداءها بيزيد جيشه عن النصف مليون جندي مجهز بأحدث الأسلحة، وأوضحت أن قوة الشعب هي القوة الحقيقية التي تستطوع تحقيق المنجزات الكبيرة .

أخذ القصر وحلفاءه في التنازل على بعض المطالب وشرع في تنظيم المؤامرات الجديدة منها محاولات جديدة لحل جيش التحرير بالجنوب واتضحت هذه المؤامرة كما اتضح تواطؤ الجناح الرجعي من قيادة الحزب والعناصر اليمينية من قدامى المأومين ومصالح الشرطة وحاشية القصر ضد منظمة المقاومة وصار الحسن يروج أخبار التآمر على العرش كما نظمت فتن مصطنعة بالشمال قصد منها القضاء على حزب الاستقلال بالمنطقة والضغط على الجناح التقدمي من الحزب وإظهار قوة الدولة الجديدة ، لبقايل الشمال ذات التاريخ الثوري المجيد واعطاء مثال التي المناطق المغربية الأخرى لترى كيف أن الدولة بإمكانها أن تخضع أي منطقة في زمن قصير جدا ، وقساد الحسن بنفذه العمليات الاجرامية وتحمس مسؤولية المدايح التي قام بها ضباطه وكافأ ورقي أكثرهم بروزا في الوحشية مثل أوفقير الذي دبح شابين بيديه ، وأمام الضباط وظهرت نوايا الحسن وتأكدت الاشاعات التي كانت تروج حوله . اتضح الحسن في هذه العملية وكشف النقاب عن اختياراته ونظريته في الحكم كما اتضح أنه أخطر وأبشع مما كانت الاشاعات تؤكد ذلك أنه بين بوضوح أنه يحتد على التثقيل الجماعي والارهاب لغرض الحكم المطلق رافضا أدنى الحقوق الإنسانية للمواطنين المشاركة ومن جملة المؤامرات رفض القصر برنامج الحزب للحكومة ذلك البرنامج الذي فرضته العناصر التقدمية داخل الحزب واستقال عبد الرحيم بوعبيد من حكومة بلافريج عندما اكتشفت تواطؤات اليمينيين من الحزب مع القصر في المؤامرات المذكورة وقامت العناصر التقدمية تحبى الرأي العام المغربي وتفتح السياسة الفاشلة التي يفرنها القصر وتتبنها الحكومات واحدة تلو الأخرى ، فزاد الضغط لدى الجماهير الشعبية وظهرت بوادر هذا الضغط في أول اغرابات عمالية في عهد الاستقلال فأظهر العمال معارفتهم بوضوح ومطالب الاتحاد الوطني للطلبة المغرب في مؤتمره بتطوان في ٢٥ يوليو ١٩٥٨ بالحكم الدستوري وعارض في سيطرة القصر على الجبر والداخلية كما عارض سياسة التعليم والسياسة الاقتصادية ، برزت معارضة العمال والطلاب لسياسة القصر في رفض المنظمات الجماهيرية الخضوع لأبوية السلطان وتسليمه السهر على مستقبل البلاد كما أظهرت انسحاب ثقة الجماهير من القصر . فانظر القصر من أجل ارجاع جو الثقة وريح الوقت مرة أخرى الى التامل مع الجناح اليساري لحزب الاستقلال الذي صار المعبر الفعلي عن مصالح الجماهير الشعبية ، وكونت حكومة عبدالله ابراهيم فزمت عناصر تقدمية من حزب الاستقلال تلاء العناصر التي ربطت مصيرها بمصير الجماهير الشعبية وأضيفت عناصر مولية للقصر الى هذه الحكومة وقد عارض الحسن في تكوينها معارضة شديدة إذ أنه كان يخشى بداية تحقيق اصلاحات دستورية تقيد النظام السلطاني بالبلاد كلفت هذه الحكومة بتحقيق انتخابات المجالس المحلية وانتخاب المجلس الدستوري ، ولم يقصر عملها على تحقيق هذه المطالب الوطنية بل عملت على الشروع في وضع قاعدة للبناء الاقتصادي والاصلاح الاجتماعي مطلقة في ذلك من مبادئ تتعارض معارضة كلية مع مصلحة القصر الذي لم يكن قابلا بافادة السلطة الى والتخلي عن النظام القطاعي كما رأينا ، فكان من الطبيعي أن تصطدم مشاريع الحكومة بأهداف القصر وأن يعرقل الأخير هذه المشاريع ، ولم تتوفر عناصر التقارب بين القصر والحكومة ، إذ لم يتنازل أحد الطرفين عن أي شيء لصالح الآخر ، فالقصر محافظ على السلطة التنفيذية والتشريعية والحكومة تتمسك بالمطالب بهذه

السلطات لتتمكن من القيام بواجبها ، وواجبها هذا يقصد تغيير هياكل البنيان الاقتصادي والاجتماعي الذي يمس حلقا الصخر بالدرجة الأولى .

وضع الجناح التقدمي للحزب مخططا واسعا لتطبيق اصلاحات جذرية في البلاد على مستوى مسؤوليات الحكومة وعلى مستوى التنظيمات السياسية . فزيادة على برنامج الحكومة الذي ذكر سابقا ومساعدتها لفرض سلطة الشعب على الحكم ، عمل هذا الجناح على تشيير قيادة الحزب اما عن طريق العمل الديمقراطي أو عن طريق دفع القيادة الى الاصطدام مع الحكم بمحاول عكس نتائج حرب الريف التي أراد الحكم أن يحمله مسؤولياتها بميدخل في هذه التخطيطات تنذيم القوات الشعبية وتغذية الثورة الشعبية بمقد بدأ في تكوين اطرارات نقابية لتزويد الطبقة العاملة بقيادة واعية في مستوى مواجهة المسؤولية التاريخية التي تنتازرها بمواظمت على جيش التحرير في الجنوب ليؤمن درع استمرار التيار الثوري للشعب ومتابعة تحقيق الأهداف الشعبية كتحرير الأراضي الصحراوية وتنظيم القوى التقدمية داخل الحزب والاستناد على المنجزات الثورية للحكومة وعلى نفوذ ثورة الشعب الجزائري الشقيق ، يؤدى كل هذا في النهاية الى تصفية الاقطاع وكل أعداء الشعب وبناء حكم شعبي يفتح المجال لتحقيق أهداف الثورة . لكن الاغلاط والتخاذلات وفعالية الوجود الأجنبي .

أحالت دون تحقيق هذه المخططات فمدرسة الأطر النقابية تحولت الى قصر للهو والمتعة بمقرئيس الحكومة تخاذل أمام القصر في شأن مواضع أساسية منها تصفية جيش التحرير بالجنوب الذي خانه النظام (بندقية وعشرة رصاصات مع قلة التموين) منع الجيش من تحرير مريطانيا وأخيرا تمت تصفيته بمساعدة البورجوازية الاستقلالية وعلى رأسها علال وبختاذل عبد الله ابراهيم . أما الخطة الخاصة بتطهير قيادة الحزب من العناصر البورجوازية فقد فشلت ويرجع سبب ذلك بالدرجة الأولى الى سوء تصرف عبد الله ابراهيم مع علال الفاسي وتفق الجناح اليميني في الحزب ثم القصر في الخفاق تحالف علال مع الجناح التقدمي ، كما يرجع الى اسناد رئاسة (جمع عام) المقاومة الى الرفيق عبد الرحمن اليوسفي عوض علال الفاسي .

يمكن اعتبار اشراك التقدميين في الحكومة غلطة تكتيكية من طرف القصر ، إذ أن هذه الحكومة ولو أنها لم تتمكن من تحقيق تغييرات جذرية فقد طارحت شعارات الاصلاح بحددة وبنوع أدركتها الجماهير الشعبية وتبنتها الشيء الذي زاد في عزل القصر عن الجماهير الشعبية وأزال النقاب عن أغلب الفئات والقوات السياسية فساعد على توضيح الفوارق الطبقة وتعارض هذه المصالح بمومما قوى التحولات التي طرأت داخل التنظيمات السياسية والاجتماعية فزاد في خطورة خطى القصر كما زاد في فضح نواياه . ومن هذه التحولات الاختلاف الشديد داخل حزب الاستقلال إذ اختارت البورجوازية الحزبية كما جاء في التقرير المذهبي (ان البورجوازية المغربية عندما كانت تقدم للجماهير الشعبية أشخاصا بذل مذهب وانفعالات نفسية عوض برنامج ومخططات للعمل ، فقد اختارت تاريخيا : أن تحول مجرى التيار الثوري للجماهير وتلغى ارادتها وتكبى انطلاقاتها التحريرية في الوقت الذي أدرك الجناح التقدمي أن الجماهير الشعبية بصفقتها قوة منظمة واعية تكون أداة فعالة لبناء المجتمع الديمقراطي على أسس علمية والسهر على مكتسبات هذا البناء .

وننتج عن ذلك انسحاب الجناح التقدمي من المؤسسات الوطنية للحزب واختيار هذا الجناح

أيد يولوجية الجماهير الكادحة من الشعب وتحالفها مع الاتحاد المغربي للشغل الذي تخلص هو نفسه من سيطرة البورجوازية ، وتبلور هذا التحالف في الاجتماعات التي أدت إلى تأسيس الجماعات المتحدة لحزب الاستقلال في ٢٥ يناير ٥٩ وجعلت حداً نهائياً لتحالف البورجوازية الاستقلالية مع ممثلي القوات الشعبية ففجرت الوضع السياسي بالبلاد وجعلت حداً للدسائس والمؤامرات التي كانت تحاك ضد الشعب في الظلام بين القصر والحزب ففضحت بعضها وأشعرت الجماهير بالجدد منها . وتطور هذا الانفصال بين البورجوازية والتقدميين بتأسيس حزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية في ٦ ديسمبر ٥٩ وأعطى هذا الحزب الجديد تنظيمًا قويًا للجماهير الشعبية كون قاعدة واسعة لحكومة عبد الله إبراهيم تركز عليها لمواجهة القوى الرجعية بتنظيم جماهيري طائفي وأمي سياسي واجتماعي وارثا عقلية ومبادئ ثورة ٥٣ ورافضا الحكم الفردي والنظام القطاعي والاستغلال البورجواني وتمت هذه القوى الجماهيرية السياسية التنظيم العمالي النقابي فمكنت الجماهير الشعبية من فرض نفسها في ميزان القوى وكأنها عملاق ذات إمكانات جبارة أثر في تطور الأحداث فيما بعد . واتضح أن الفرصة التي سخرها القصر لنفسه من أجل ربح الوقت واسترجاع القوة والنفوذ المعنوي للزيادة في تثبيت سلطته بالبلاد انقلبت ضدّه وزادت في فضحه ففصح باقي المتطفيين، رأعت المناسبة لنخبة من التقدميين أن تبين للشعب الطريق الجدي والصالح للتخلص من التأخر بطرحها شعارات الإصلاح وعملها باصرار على تطبيق هذه الشعارات فأراد القصر استدراك الموقف واستغلال وجود التقدميين في الحكومة لتحقيق بعض مخططاته باسم هذه التقدمية وعلى حسابها ، وأخذ يهيئ الظروف لذلك فأقال المهدي بن بركة في ١٥ سبتمبر ٥٨ من رئاسة المجلس الاستشاري ليجعل من هذا المجلس أداة سهلة التوجيه وطبعة بين يديه ، لكن هذا المجلس تفجر وأصبح عديم الوجود بانسحاب عناصر المنظمات الجماهيرية منه ومحاكمة الحزب الشيوعي وسحب الشرعية منه بموجب مرسوم ملكي بحله فأثرت هذه العملية في بعض الأوساط التقدمية وخاصة منها أوساط الشيوعيين الذين أصبحوا يحملون الاتحاد الوطني للقوات الشعبية مسؤولية منح الحزب ولا يهمننا هنا رفض أو تأكيد هذه التهمة بمقدار ما يهمننا توضيح مؤامرات القصر الذي اختار وجود منظمة تقدمية في الحكم لحل الحزب الشيوعي وبت عناصر التفرقة بين المنظمات التقدمية ولنفس النهاية صودرت جريدة التحرير في ديسمبر ٥٨ وهي الجريدة السياسية الوحيدة التي عبرت عن مصالح الجماهير الشعبية وعارضت النظام القطاعي الرجعي بجرأة وشجاعة صودرت هذه الجريدة بدعوى عبور مقال يمس حرمة القصر واعتقل مديرها محمد البصري ورئيس تحريرها عبد الرحمن اليوسفي كما اعتقل في فبراير ٦٠ مسيرون وطنيون واقلزيون للاتحاد الوطني للقوات الشعبية بدعوى اكتشاف مؤامرة ضد حياة الحسن واستغل القصر الوضع الناتج عن هذه الاعتقالات فعمل على تشتيت قوات جيش التحرير بالجنوب نهائياً . وبعد تصفية الجيش أطلق المعتقلون الاتحاديون . وقد تحمل الاتحاد الوطني هذه الضربات من طرف القصر وتحمل إنجاز بعض المكاسب للقصر والرجعية على حساب الجماهير الشعبية لسببين أولهما أن الاتحاد كان يولي الأولوية لإصلاح بنى الاقتصاد وتخليص البلاد بذلك من سيطرة الاستعمار الجديد لتتمكن القوى التقدمية من التغلب على القطاعية والرجعية وتتجه لإصلاح المجتمع وبناء الحكم البرلماني

فالاتحاد الوطنى للقوات الشعبية كان يدرك ان المغرب مستقلا من الناحية السياسية فقط وان اقتصاد البلاد ما زال مطبوعا بالواقع الاستعماري ، فوضع الاتحاد برنامجا ادنى يمكن تلخيصه ثلاث نقاط كما جاء فى التقرير المذهبى :

« ١ - تصفية المكاسب الاستعمارية وخاصة منها المثلثة فى اراضى المعمرين وفى السيطرة على اهم وسائل الانتاج الصناعى وعلى وسائل التحويل والتجارة الخارجية »

« ٢ - ابدال السياسة الحالية للمساعدة التى تحمل طابع عدم الاستقرار والتجزؤ والارتجال بسياسة اخرى تدخل فى نطاق البرامج المؤجلة وتساند بصفة جدية ومعقولة المجهود التخطيطى للبلاد الذى يعنيهها الامر فى سبيل نهوضها الاقتصادى والاجتماعى »

« ٣ - حد اخضاع المساعدة لاغراض سياسية » ،
والسبب الثانى يوجد داخل الاتحاد الوطنى للقوات الشعبية نفسه ، و تقتصر هنا على الاتحاد الوطنى لانه كون بعد الاستقلال اول منظمة سياسية جمعة كل المنظمات الشعبية للقوى الثورية والتقدمية ، واعتنقت ايدىولوجية الجماهير الكادحة ، اجتوى تنظيمه وخطته على عناصر سلبية اذا اضيف الى اخطاء القصر والرجعية ففسر لنا اسباب الكسب والخسران من طرف الجماهير الشعبية وكذلك من طرف القصر والرجعية ، فالعنصر السلبى الاول يمكن اظهاره فى احدى فقرات التقرير المذهبى التى تقول : « وانه لحدث ذو مغزى ان يكون هذان العاملان الذان تحققا على يد جماهيرنا الفثية ، والذان مكن فيما بعد من تجمع القوات الحية فى البلاد داخل الاتحاد الوطنى للقوات الشعبية ، لم يكونا سوى تعبير صادق عن حركة دفاعية قامت بها الجماهير ضد القوات الاستعمارية والاستغلال الرأسمالى » ،

فكون الاتحاد حركة دفاعية ليس فقط ضد الاستغلال الاستعماري ولكن ايضا ضد الاقطاع والحكم الفردى ، ولم يكون حركة هجومية الا على مستوى الشعارات والتوعية الجماعية الواسعة لجماهير الشعب نتيجة فشل مخططاته السياسية خارج الحكومة . وحاول الاتحاد الهجوم داخل الحكومة لكن فى اطار الملكية فى الوقت الذى اتضح فيه ان القصر لم يستطع ان يمتدج مع الوضع الذى نتج عن ثورة ٥٣ ، وانه اختار نهائيا جانب المصالح المسيطرة على البلاد فاعتمد على الاقطاعية ورواسب الاستعمار كاقوى اعمدة يرتكز عليها نظامه ، وحافظ على علاقته بالجماهير ليظل لها بالوعود التى لم تطبق ، وقف القصر مواقف متذبذبة امام المطالب الشعبية الجذرية كالدستور والاصلاح الزراعى ، وان متنا حقق فى السنين الاولى فى عهد الاستقلال كنشر ضهير الحريات العامة و استشارة المنظمات السياسية والمهنية فى المشاكل الوطنية الموضوعية على البلاد والفصل بين السلطات لرئيس الدولة واختصاصات رئيس الحكومة لم تتم الا تحت الضغط ، وان القصر جاد فى مساعيه للقضاء على هذه المكتسبات وغيرها مثل خلق نقابة مزينة فى ٢٠ مارس ١٩٥٨ لتفكيك وحدة العمال والمناورات الاخرى ضد الاتحاد الوطنى واطر المقاومة واختار الاتحاد اصلاح فى اطار هذا الحكم ، فى الوقت الذى كان عليه ان يضع مشكلة الحكم نفسه من جملة الاصلاحات المقصودة ان السعى لتغيير الحكم ولو ادى ذلك الى الاطاحة بالنظام الملكى نفسه .

ولمما السليمة الشللية فهي تكن في تكوين الاتحاد نفسه ، لقد ضم الاتحاد عناصر من جميع الاتجاهات تسببت في تناقض نظري من حتى بالاختيار الشعبي وتسبب في تضييع الشعارات الجماهيرية وأخطاء تكتيكية على منظماتها النقابية و السياسية ، الشيء الذي يجعل من الاتحاد ، اذا نحن استثنينا المنجزات في ميدان التوعية وطرح الشعارات واصلاحات الحكومة الجزئية ، تنظيميا سياسيا يجمد القوي الثورية بالبلاد مثل ما فعله حزب الاستقلال حتى غشت ٥٣ •

وهذه الدور للاتحاد يجب ادراكه بكل وضوح ، خاصة في الظروف الحالية ادراك فعاليته وتأثيره على ثورة الشعب في مراحلها المقبلة •

اصبحت تعبئة الجماهير الشعبية حول شعارات الاتحاد تكون قوة معادية للقصر ، وادرك هذا الاخير الخطر كما ادرك ان قوة الاتحاد الوطني لا تعتمد على تنظيمات سياسية واجتماعية مثينة ، وان الاتحاد آخذ طريقه في بناء هذه التنظيمات الذي جعل القصر بقلب الوضع بالبلاد واخذ يواجه الضربات العنيفة الى المنظمات التقدمية ، وخاصة الى الاتحاد الوطني ، فتمكن القصر من تجميد المشروع الخماسي ، وبعد ابعاد الحكومة قام القصر بانقلاب في الدولة كما عبر عنه التقرير المذهبي بقوله : « اما اليوم فقد تقهقرت الحالة تماما واصبحت امام حكم شخص تشخيصا فرديا من نوع مطلق قديم ، سبق للجماهير المغربية ان عرفت مثله في المغرب وقد امتاز بانه »

« قد انتهى في الاخير بوضع المغرب تحت النظام الاستعماري سنة ١٩١٢ ••• »

« وان سلوك السلطة القائم على الحذر تجاه الجماهير الشعبية ليتجلى بالتالي في معرقة المنظمة ، والاحتقار ، والاهمال ، والسجن والتحديات التي يلاقيها المنتخبون في المجالس البلدية والقروية ، • وتسلم القصر كل السلطات بتأسيس حكومة برئاسة الحسن الذي جمع السلطات القضائية والتشريعية والتنفيذية ، وتخلهى القصر عن الاستشارة والمناقشة مع الهيئات السياسية والاجتماعية وشرع في تحطيم المكتمبات الديمقراطية للشعب وفي تطبيق السياسة التي عبر عنها الاتحاد الوطني في نفس التقرير بقوله : « جهازا للدولة »

« اذا طابع سياسي وعسكري يحدد لنفسه مهمة تمويه الرأي العام بالقصر ، وذلك بتحقيق اتحاد وطني لا من القاعدة الى القمة حول برنامج ، بل يفرض من »

« بالقمة على القاعدة • وفي هذا النوع من التطور المعكوس يبدو ما لازلنا في »

« البرتغال باتحاده الوطني العتيق وكأنه المعلم والرائد بالنسبة للأنظمة السياسية والعسكرية في البلاد المتخلفة ، • اذا كان ما لازلنا رائد هذه النظرية فمحمد بن يوسف وانه الحسن من احسن وابرز تلاميذه • الشيء الذي اتضح منذ ١٩٦١ حتى اليوم ، هذه الفترة التي تحتاج الى تحليلات اجتماعية واقتصادية وسياسية دقيقة تمكننا من ادراك الوضع الحالي بكل معطياته ، ليتمكن كل مناغل انطلاقا من هذه التحليلات ، من مواجهة كل الاحداث بالبلاد • لقد اقتصر هذا العرض ، في الفترة ٥٥ - ٦١ على ضبط الجو السياسي او بالاحسن بعض العمليات السياسية ، ذلك ان الذي يهمنا بالدرجة الاولى هو التطور السياسي ، خاصة في الفترة المذكورة لان هذا التطور هو الذي يفرض على البلاد الاتجاه الذي سارت فيه ، تحت نظام الحسن السالازار